صمت الرجل الرشيد، وتوكأ على عصاه ونزل عن المنبر وخرج من المسجد، إلى حجرة بهيجة:

- قلبي معك يا بروفيسور عبد الله الروحي...
- أخاف من عمر بن الخطاب البخاري...!
- [illegible] واعتياداتها، توفر [illegible] ما [illegible] اجه من أمن،
- [illegible] لا يرئس [illegible] غزة، [illegible] خادي كتا
- [illegible] المترية، [illegible] في القر
- ساعدق لأنضم إلى منتدى الحرية.
- لإيماننا أن الحرية حق مشاع، في الانضمام إلى منتدى الحرية حق مشاع أيضا، الحرية حق فطري، يولد كل كائن، حي أو جماد، با[illegible] وعلى دينها...
- لكن [illegible] نسان، ودون الكائنات كلها، بحاجة إلى مساعدته [illegible] حري[illegible] المسلوبة!
- لذا، [illegible] نا راية [illegible] ب البي[illegible]
- أعترف [illegible] با [illegible] يا لا [illegible] ب البهجة قبلة لروحي...
- محراب البهجة قبلة الأحرار...
- لكننا سنجد مقاومة عنيدة وجائرة ومن كل اتجاه!
- أجل يا أخي تحت راية الحب البيضاء، أجل...
- ر ح ب... الحروف الأولى من جملة (راية الحب البيضاء)... رحب... هنا الحل!
- فلسطين وطن رحب...
- يتسع لكل حر كريم...
- ومحراب البهجة قلبه النابض... لكن المدوان الغاشم سلبنا حق البهجة!
- ليكن في فلسطين سلام...

من فوق منبر صلاة الجمعة، أطلق الشيخ الرشيد، من معسكر جباليا في قطاع غزة

نداء السلام

رواية حسن مي النوراني

محراب البهجة

راية

الحبّ

البيضاء

١

لا تزال النافذة مغلقة منذ أول عهدي بهذا الزقاق. مررت من هنا، قبل ما يقارب عقدين من الزمان؛ مروري في هذا الزقاق، متعمد، لكن، ما هو الدافع؟ لا أعرف! اعتقد، أنّ هذه النافذة، ظلت مغلقة، منذ مررت بها، أول مرة! هل تمتلك برهانا يؤيد اعتقادك المزعوم؟! سألتْ رفيقتي بنبرة فيها سخرية ساحرة؟! أثار سؤال رفيقتي مشاعر مختلطة في نفسي: هل تقوم معتقداتنا، الصغير منها والكبير، على البراهين؟! عليكِ أن تسلمي بصحة ما أعتقد بشأن النافذة؛ ردتْ بتعال: ذكر مثل بالون يُنفخ بهواء فاسد وفوق طاقته! قلت بوجه متجهم: ليس من الحكمة أن نختلف، ومنذ أول المشوار أيتها الرفيقة! لا تنسي، أن صروحنا الإنسانية الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية، مقامة كلها على مسلمات نفسية لا صلة لها بالبراهين الجامعة المانعة كما يقول أهل المنطق! لم تقتنع رفيقتي بما قلتُه؛ أنا أعرفها؛ إنها مشاكسة، لكنني أحب مشاكساتها! مِن نعمة تربيتنا علينا، أنها علمتنا أن نوجّه التهم، لكل من يختلف معنا! قلتُ بحدّة الآمر: أمامك خياران، أنْ نفترق منذ الآن؛ أوْ تنصاعي لي وتقبلي كل ما أقوله وأفعله؛ لا تنسِ، أنا قوّام عليكِ، تحلّي بالعقل! لكن، منذ متى تمتلك النساء عقلا أيها المغرور الواهم؟! قالت بسخرية؛ أجبتُ بغطرسة: هذا مرهون برغبتي! حياتنا، نحن الآدميين، غرور معتوه تحشوه الأوهام، هل يضيرك أيتها الرعناء، أن تضيفي وهْما جديدا إلى أوهامنا العريقة، فيزيد غرورنا؟! أدارت لي ظهرها، لوت عنقها، رمقتني بنظرات فيها صرامة رقيقة، وقالت بثقة وأنوثة عارمة ناضجة: نختلف ولكننا لا نفترق! بدا منذ اللحظة الأولى لاشتباكنا العيني، بأن هناك حصانة لدينا ضد الافتراق! قلنا في وقت واحد: حسنا، نختلف ولكننا لا نفترق! وابتسم قلبانا...

نافذة بهيجة مؤصدة، وبحديد ثخين صدئ، منذ البدء! الطبيعة وحدها، تكفلت بإحداث شقوق ضيقة ومتعرجة، أكلت صفيح النافذة، تسمح بتبادل الهواء بين داخل وخارج الحجرة، الواطية المسقوفة بقِرميد كالح هرِم ومتآكل! نافذة بهيجة وحجرتها، ليستا استثناءا من حال عموم مساكن معسكرات اللاجئين الفلسطينيين، التي أنشأتها وكالة غوث تشغيل اللاجئين التي أنشأتها منظمة الأمم المتحدة بعد قسر أهالي فلسطين الشرعيين، على الهجرة من مدنهم وقراهم وبواديهم، التي ولدوا فيها من آباء وأجداد يمتد تاريخ وجودهم في وطنهم إلى خمسة آلاف عام، أو يزيد!

تسمح هبة الطبيعة، للمار قرب نافذة بهيجة، بمشاهدة باب صفيح مهترئ، يغلق الحجرة؛ كلما مررت من هنا، يدفعني فضولي للتوقف، لكنني كنت سرعان ما

أواصل سيري؛ غيري كان يتلصص من شقوق النافذة، لكنه لم يكن يظفر بشيء؛ فصاحبة الحجرة كانت خرساء باختيارها، والظلام ستار كثيف يحجبها عن عيون المتطفلين الذين لا يقوون على احتمال رائحة تتسلل من شقوق النافذة الضيقة، إلى الممر الضيق الرطب، فيلوكوا ألسنتهم ويرتدّوا بائسين تخنقهم حشرجات تئن بهلوسات مبهمة لكنها تفضح معاناة قاسية وعميقة الجذور ؛ كان لدى جميع أهالي المعسكر، باستثنائي، الحاح يدفعهم إلى استجلاء ما يقع على الجانب الآخر، من جدران بهيجة المصمتة؛ أنا كنت أهوى المرور منه، مرتين يوميا، وأنا في طريقي، إلى خلوتي، صباحا، وأنا عائد إلى بيتي، مساءا... كنت أخترق الصمت المعتاد، الذي يلفّ الحجرة، بسكينة تحرص على أن لا تعكر صفاء نفْس بهيجة وهدوء قلبها... وكانت الروائح المنبعثة من الداخل، تنبئ بأن هناك حياة مفعمة بالحياة العميقة!

اليوم، لم أمرّ من زقاق النافذة المغلقة وحيدا، كان الليل يدنو من الفجر، فلم يزل الزقاق الضيق، يتدثر بالعتمة الملبدة بغيوم قاتمة، وبموت تام للحركة الآدمية... ويتطوع الهواء، بحمل الهمسات الرهيفة من بين الشقوق النحيفة... كانت الهمسات مكتومة وصاخبة... كانت رفيقتي بصحبتي؛ أصاخِت السمع! ألصقتْ أذنها بالصفيح، ورغم أن الوقت كان شتاءا قارس البرد، إلا أن صفيح نافذة بهيجة كان حارا؛ كانت رفيقتي، تحتمي من البرد بمعطف صوفي ثقيل وطويل ومبطن بالفرو، حازت عليه من هبة قدمتها وكالة غوث اللاجئين؛ لم تطقه؛ خلعتْه! ارتعشت؛ همست في أذنها الأخرى: ارتدي معطفك! تمتمت: لا أرتعش بسبب البرد! فهمت؛ انتصبت رفيقتي وأسدلت جفنيها واهتّز جسمها وكتمت صيحة نشوانة، وحضنتني والتصقت بي وضغطت جسمي بين ذراعيها بعنف وارتجّت ورجّتني معها ثم ارتخت ذراعاها وألقت رأسها على كتفي الأيسر... ارتفع آذان صلاة الفجر؛ فررنا ولا تزال نارنا مضطرمة!

أنا ولدتُ عام ١٧٩٩م، وأكاد أنهي عامي التسعين، ورفيقتي تدنو من بلوغ عامها العشرين؛ ولدتْ عام ١٩٤٩م؛ نحن الآن في عام ١٩٦٩م. مرّ عامان على احتلال الكيان الإسرائيلي ، لباقي الأراضي الفلسطينية، خلال الحرب التي عُرفت بحرب الأيام الستة، التي هُزمت فيها جيوش مصر وسوريا والأردن، ما اسفر عن سيطرة إسرائيل على أراض تتبع هذه الدول! كان المهاجرون اليهود إلى فلسطين، قد أعلنوا قيام دولتهم في فلسطين، عام ١٩٤٨م، بعد انسحاب قوات الاحتلال البريطاني منها..

على عتبة دار خلوتي، انتبهت رفيقتي إلى أنها تركت معطفها الثمين، تحت نافذة بهيجة. هرولت على هناك؛ الحمد لله، لم يمر أحد من الزقاق، سكان الزقاق، لم يذهبوا للمسجد، لأداء صلاة الفجر، اليوم الجمعة، والماء قارس، ومواقد كاز اللاجئين فاضحة، خجل النساء يمنعهن من تشغيلها، في الليل الصامت، ولا يجرؤ أحد على الاغتسال بماء شديد البرودة؛ وإمام المسجد القريب، يمنح نفسه إجازة أسبوعية، تزامن صلاة فجر كل يوم جمعة!

في دار الخلوة، سألتني رفيقتي عن اسمي؛ أجبت: ممدوح المسيلمي؛ وأنت؟ تجاهلتْ سؤالي؛ قالت بسخريتها الساحرة: أنتَ من سلالة مسيلمة الكذاب! كلّا؛ أنا من سلالة لم تحمل لقبا، وكان أجدادي المباشرون مسلمون ورعون؛ أما أجدادي القدماء، فكانوا خليطا من كل الأديان والمذاهب! لكن جميع أجدادي كانوا متسامحين، ولم ينشأ بينهم اية اختلافات بسبب تعدد معتقداتهم، والواقع، لم يشهد تاريخي السلالي اية اختلافات؛ وكان أجدادي يقومون بالإصلاح بين المتنازعين، المتباينين المشارب والأهواء والأطماع! ما اسمكِ؟ سمِّني أنت! بهية الزعرة! ابتسمتْ، وقالت: حسنا؛ لكني أريدك أن تعرف، أنني لستُ من خارج سلالتك القديمة، غير أني من أجداد ينتمون إلى ملّة أخرى!

الزعرة لفظ عاميَ أصله الزعراء، وفي لغتنا العربية، كلمة زعراء تعني: سيئة الخلُق! أنا لمْ أقصد من تسميتها بالزعرة، أنها سيئة الخلق! ما ألمسه منها، أنا وجميع من يعرفها، يؤيد أنها على خلق رفيع؛ وسميتها الزعرة، على سبيل التحبب، كما يوحي بذلك، استخدام العامة له، وكان هناك دافع آخر لي، نبت من تجسسنا على نافذة بهيجة؛ فالأخيرة معروفة لدى الناس هنا، بلقب الزعرة! داعبتُ خصلات شعر بهية الشقراء الوضّاء، بأناملي، وجذبت راسها، وطبعت قبلة على شفتيها المكتنزتين، وخاطبت عيناي الناعستان، عينيها الخضراوين: لا أنوي الاستخفاف بشأنك، بتسميتك زعرة! حضنت رأسي الأشيب، وطبعت قبلة مشتاقة على فمي، وداعبت وجنتيّ بلسانها وشفتيها معا، وقالت بدلال وغنج: أنا وأنت أزعران! اهتز صدرانا بالضحك الصاخب؛ ثم نهضتْ، وتراجعتْ خطوتين إلى الوراء، وحركت يديها، في إشارة تمثيلية، وقالت بصوت صاخب مرح: ها قد فُتحتْ الستارة؛ ثم عادت للخلف، بسرعة البرق، ثم تقدمت للأمام، بخفة ورشاقة وبابتسامة عريضة وعينين مزمومتين، ووجنتين متوردتين، وفتحت راحتيها البضّتين، ومدّت ساعديها في الهواء، وانحنت، كما يفعل الممثلون، عندما يندفعون من باب المسرح الخلفي، إلى حافة خشبته القريبة من جمهور المشاهدين... وانتصبتُ أنا واقفا وصفقتُ بحماس وصحت: حبيبة الجماهير أنت يا زعرة! طبعتْ قبلات على أصابع كفيها المضمومة، ورمتني بها؛ وقالت: أيها الجمهور الواسع، نحن اليوم مع مسرحية

قصيرة ومن فصل واحد، وبطلتها واحدة! وفجأة، اكفهرَّ وجه بهية الزعرة، وانكمش جسمها، وطأطأت راسها، وجلست القرفصاء جانبي جامدة العينين والساعدين والساقين! أصابني الذهول واضطربتُ، وسألتها بقلق حان: ما بك؟! لاذت بصمت فاقم خوفي عليها؛ صِحتُ بفزع: ما بك يا بهية؟! حملقتْ في الفراغ، وتمتمت في شرود: هل ينبغي لي أن أتجسس على امرأة أكبر من جدتي، تؤدي صلاة الحياة، وأنا مختبئة مثل جربوع في عباءة الظلام؟! وأجهشت بنحيب، انتقلت عدواه لي؛ وبحركة لا إرادية، جذبتها من ذراعها، وأجلستها في حضني، وضممتها بعنف شاب فائر النار! داعبت أناملي المرتعشة خصلات شعرها، المنسدلة على صدرها الناهد، فلامستُ حلمتيها، وتحسستُ قلادة كانت تتدلى من عنقها المرمري الطويل الممشوق، وتستقر وادعة آمنة، تحت ثيابها الداخلية؛ فبادرتْ بإظهارها: نجمة داوود، بلون السماء الصافية، وفي وسطها، صورة بألوان طبيعية، للعذراء تحمل طفلَها، ومن تحتها شريط أبيض داخل إطار يجمع سبعة ألوان، وفي وسطه هلال أخضر يحضن نجمة خماسية ذهبية! أنا ابتسمتُ وضممتها إلى صدري بنشوة وشهوة! تبدد قلق كان يساورها، وتمتمت بشفتين ترسمان ابتسامة عميقة، ولكنها وجلة: ورثتها عن أمّي اليهودية! بهية ابنة فلسطيني مشهود له بالورع وكريمِ الأخلاق ونقاء الصحيفة الوطنية، يسكن المعسكر، لم يتزوج بعد وفاة زوجته أمّ بهية! كانت أمّ بهية، تحظى بحب وتقدير واحترام جميع معارفها، في بلدة زوجها الأصلية، قرية عراق المنشية؛ تقول موسوعة ويكيبيديا:

عراق المنشية هي قرية فلسطينية مهجَّرة كانت تابعة لقضاء المجدل-عسقلان "حسب الوثائق الانتدابية الإنجليزية"، وتبعد عن مدينة غزة حوالي ٣٢ كيلومتراً إلى الشمال الشرقي. وتضاريس عراق المنشية هي عبارة عن مجموعة من التلال المتموجة، بالإضافة إلى اختراق هذه التلال عدداً من الوديان ومن أشهرها وادي فتالة وهو أحد الروافد الرئيسية لوادي المحور القادم من الفالوجة. تميل الأراضي في عراق المنشية إلى الارتفاع كلما أتجهنا نحو الشرق باتجاه أراضي قضاء الخليل وتميل إلى الانخفاض والاستواء كلما اتجهنا نحو الغرب وتصبح ساحلية بمعنى الكلمة لأنها تكون على الأطراف الشرقية للسهل الساحلي الفلسطيني، وترتفع ١٢٥ م عن سطح البحر، بلغت مساحة أراضيها ١٧,٩٠١ كم مربع، ويحيط بها من الشمال قرية زيتا قضاء الخليل ومن الغرب قرية الفالوجة ومن الجنوب فطاطة وأراضي عشيرة الوحيدات الجبارات في قضاء بير السبع ومن الشرق بيت جبرين قضاء الخليل، وتعد قرية عراق المنشية من أواخر القرى التي سقطت بيد العصابات الصهيونية بعد عام كامل من عام النكبة وظلت صامدة حتى شهر آذار/مارس من عام ١٩٤٩ تحت القصف والدمار بفضل المتطوعين من القرية والجيش المصري

والمتطوعين السودانيين، حيث قامت العصابات الصهيونية المسلحة بعد اتفاقية رودس بهدم القرية وتشريد أهلها البالغ عددهم عام ١٩٤٩ حوالي ٢٣٣٢ نسمة، وعلى أنقاضها أقام الصهاينة مستعمرة كريات جات التي تعد اضخم مدن الاحتلال الصناعية في هذه الايام.

عراق المنشية

من الأعلى باتجاه عقرب الساعة: صورة منظر عام لبيوت قرية عراق المنشية وسكانها (نادرة)، والبقية صور ملتقطة عام ١٩٤٩ لترحيل اهالي القرية بعد استيلاء العصابات الصهيونية عليها وطرد سكانها المحليين.

٢

ماتت أمّ بهية، في قرية عراق المنشية، برصاص عصابات الصهاينة المسلحة، بطلق ناري فجر جمجمتها، فيما كانت تُرضع طفلتها، المولودة قبل ذلك، بستة أيام! حمل الفارون من الموت الزؤام، جثمان المرحومة، ودفنوها في مقبرة قرية جباليا، الواقعة شمال غزة؛ بكاها زوجها ونساء ورجال وأطفال القرية جميعا؛ وفي ساحة تحاذي مقبرة جباليا، تقبل زوجها وأهل قريتها، بعد أن حطوا عندها الرحال، العزاء بوفاتها، من جميع أهالي جباليا، والقرى المجاورة لها؛ ظلت الطفلة، طوال رحلة الفرار، تتلوى من الجوع، وتبكي حتى تفقد قدرتها على البكاء، كان جميع الأطفال الرضّع المحمولين على أكتاف وصدور أمهاتهم المذعورات، يبكون ويتلوون أيضا من الجوع؛ الخوف الرهيب من الموت المرتقب كل لحظة، جفف كل الأثداء! وما أن وصلت قافلة الناجين من نيران الهلاك، إلى قرية بيت حانون، أقصى شمال قطاع غزة، تكفلت سيدة، كانت ولدت طفلا لها، بإرضاع الطفلة وتربيتها، حتى بلغت الرابعة، فانتقلت الطفلة إلى ابيها، الذي أخلص لذكرى زوجته، ولم يتزوج امرأة أخرى، ونذر حياته لتربية ابنته الوحيدة!

تابعت بهية، تحكي لي عن نفسها، وهي لا تزال منكمشة فوق حجري:

اسمي ماريا؛ كان اسم أمي ماريا أيضا... أخبرني أبي، أن أمي كانت من أسرة مختلطة الأديان والملل! وكان كل فرد فيها، يستمتع بحرية اختيار العقيدة التي تروق له؛ ولم يثبت فرد فيها، على اعتقاد واحد...

أطرقتُ، وحدثت نفسي: ماريا بنت ماريا! ماريا وزعرة؟! كلا؛ لا يستقيم! ماريا أمّ عيسى المسيح... ماريا المجدلية بعثت عيسى من موته؛ كانت هناك قصة حب فريدة بين عيسى المسيح وماريا المجدلية؛ هذه القصة الفريدة، هي الأرض الذي اثمرت الديانة المسيحية؛ ماريا المجدلية أنهضت عيسى من موته، بعد صلبه! ماريا... ماريا النبي محمد القبطية؛ أمّ ولده إبراهيم، أهمل النبي كل نسائه من أجل ماريا... سمّى ابنَه منها، على اسم جدّ الأديان إبراهيم...!

قالت: لِم نسيتَ ماريا التي ردّت أخاها موسى إلى صدر أمّه، بعد أن أبى صدور المرضعات سواها؛ فأنقذته من موته جوعا؛ فأسس دينا نبت منه النبيان عيسى ومحمد؟! قلت: كلّا، لمْ أنْسَ؛ لكني تركتُ لكِ أن تكمِّليني! أنتِ منذ الآن تكمّليني وأنا أكمّلِك؛ أنتِ منذ الآن الحبيبة ماريا ممدوح بنت ماريا! وأرجوكِ؛ منذ الآن، لا تخفي قلادتك! نحن في وطن التسامح؛ وطن ماريا الحب... نحن الفلسطينيين، استقبلنا

المهاجرين اليهود في بيوتنا؛ اليهودية نمت هنا، هناك من يقول أنها نبتت هنا... المسيحية نبتت هنا... والمسلمون جاؤوا إلى هنا أيضا... والبهائيون هنا... هنا وطن للإنسان من كل لون وملّة... وطنُ حبنا، أنا وأنتِ ينبت هنا... هل تحبينني يا ماريا؟! ردتْ عيناها، ورددت شفتاها: أجل؛ أحبّك أقوى مما أحبت ماريا المجدلية عيسى الفلسطيني، وأقوى من حب محمد ماريا أمّ إبراهيم؛ أحبك حبا أنقى وأصدق وأخلص وأوفى من حب ماريا بنت عمران لأخيها موسى!

وذاب الاثنان في واحد اسمه الحب!

وابتهجا... وفوقهما، وحولهما وتحتهما، نقّى الهزيم السماوات والأرض... ها قد اغتسل الكون بحبنا المبتهج يا ماريا؛ وها سفينة نوح تدعونا أن اركبا... فهيّا يا ماريا هيّا... وهيّا نهتف: المجد للسلام؛ المجد للإنسان! منذ الآن لن نفترق! قالت: أجل، لن نفترق أيها الحب المعتّق!

تمددنا على ظهرينا عاريين فوق الثرى الرملي الذهبي المبتل، ثم استدرنا والتصقنا وعلونا وهبطنا وزاد بلل الأرض تحتنا! وبين نشوة ونشوة، قبلتها وقبلتني وسألتها وسألتني: ما دينك؟! قلنا من حنجرة واحدة: الحب صلاتنا وخمرنا وشريعتنا؛ وصدحنا بلسان واحد، أبيات رابعة العدوية:

أحِبُكَ حُبَيْنِ حُبَ الهَوىٰ وحُبْـاً لأنَكَ أهْلٌ لِذَاك
فأما الذي هُوَ حُبُ الهَوىٰ فَشُغْلِي بذِكْرِكَ عَمَنْ سِواكْ
وامّـا الذي أنْتَ أهلٌ لَهُ فَلَسْتُ أرىٰ الكَوْنِ حَتىٰ أراكْ

انبلجت الغيوم الشتوية عن شعاع شمس شتوية، خرجنا متشابكيّ الأيدي والعيون والقلوب، تسلقنا بمرح طفولي سفح كثيب عال، تعانقنا فوق قمته، وزقزقت عصافير الشتاء حولنا... جلستُ وتكومت في حجري، ارخت ذراعيها على كتفيّ، وألصقتُ صدري بصدرها، وقبلتني وألقيتها على ظهرها وقبلتها وسكِرنا وعلونا وهبطنا وتضاغطنا وسقينا حقل الحياة والثرى!

وبعد شهر، همست ببهجة طفولية في أذني: أثمر حبنا واتّسعَ إلى ثالثنا! ثمّ سألتْ: ماذا نسميه أو نسميها؟

- ماس!
- اسم مبتكر ورائع؛ لكن، كيف خطر لك هذا الاسم؟
- جمعتُ حرفَي اسمك الأولين مع حرف لقبي الأول؛ أليس الثالث هو حاصل جمعنا معا؟!

- من السهل أن أشرح لها أو له، تاريخ اسمي؛ لكن ماذا سأقول بشأن لقبك؟! يبدو أن لقب مسيلمي منسوب إلى مسيلمة المشهور بالكذاب؟!
- وصلَتنا عنه لائحة الاتهام؛ لم يصلنا ردّ الدفاع!
- تكرّم بالتوضيح!
- يقول التاريخ الإسلامي أن النبي محمد التقى، في مرحلة الدعوة المكيّة، مع مسيلمة بن حبيب الحنفي، الذي عرف في وقت لاحق بالكذاب!
- ثمّ...
- كان الحنفي يؤمن بالله الواحد ويدعوه الرحمان، وكان له أتباع بين العرب المعاصرين للدعوة المحمدية؛ وكان النبي محمد حريصا على وحدة جبهة محاربة الوثنية؛ فوصف القرآن الكريم، اللهَ بالرحمن الرحيم!
- أنا لستُ فقيهة باللغة العربية، لكن، يبدو لي أن هناك تكرار لا مسوغ له!
- ليس تكرارا، ولكنها عبقرية محمدية توحيدية؛ كان توحيد العرب تحت راية لا إله إلا الله هدفا نبيلا للدعوة المحمدية!
- هل أفهم أن دعوة محمد، عربية قومية؟!
- كانت عربية قومية وتطورت إلى دينية إبراهيمية ثم عالمية!
- هكذا دعوة مسيح ماريا؛ بعد موت عيسى، حمل الحواريون دعوة معلمهم وبشروا بها الأمم!
- لكن اليهود أغلقوا دعوة موسى؛ ودفعنا نحن عشّاق الثرى الفلسطيني، حياتنا، ثمنا لإغلاق نبوة إنسانية بدأت مفتوحة على الله!
- دعنا نعود إلى ماس، جامعنا؛ هل سيحمل لقب مسيلميّ أيضا؟!
- هو مسيلميّ بدون أن يحمل لقبي؛ كلنا نلد مسيلميّين! مسيمليّ تصغير مسلميّ!
- تعني أننا كلنا نلد مسلمين؟!
- أجل؛ الكائنات الجامدة والحيّة جميعها مسلمة بحكم طبيعتها!
- مسلمة لِمن؟!
- لطبيعتها!

قفزت ماريا وتعرّت، وصاحت بمرح طفولي: ها أنا أعلن إسلامي لطبيعتي؛ أيها النبض القديم المتجدد: اتبعني!

أيها النبض القديم المتجدد: اتبعني! هذه آية كتاب الخلود الأولى، أوحت بها طبيعة الحرية؛ تنزلتْ على قلبك العريان الوضاء يا ماريا! لبيك يا ماريا؛ أيها السلام الأبدي: أنا أول تابعيك!

وقفت ماريا عارية شامخة تدفع صدرها للأمام، ووقفتُ أنا عاريا شامخا وراء شقها الأيمن، ورفعتْ ذراعها الأيسر ورفعتُ أنا ذراعي الأيمن، وشبكنا راحتيّ ذراعينا الممدودين نحو شمس الضحى الساطع، وهتفنا معا وبصوت جهوري قوي: ها هنا الحرية

الحرية يا ماريا هنا حيّة مبتهجة ناهضة نابضة؛ لا هناك تمثالا حجريا صامتا جامدا في البلاد النائية!

٢

أخذت ماريا على عاتقها، منذ أن بلغت عامها السادس، تقديم عروضها المسرحية الترفيهية العفوية في معسكر اللاجئين البائس. إنها ممثلة موهوبة وبارعة، تنفذ إلى قلب المشاهد وتأسره منذ اللحظة الأولى؛ كان عامة جمهورها من الأطفال، ثم انجذبت النساء إليها، ولحقهن الرجال؛ الرجال يتبعون النساء! وقع قلبي الأشيب في اسرها، وأنا أشاهدها على خشبة مسرح بدائي مفتوح ومتنقل، كانت تلعب فيه، كل أدوار المسرحية، وبإتقان بليغ... كانت تقوم بدور المؤلفة وكاتبة السيناريو والمنتجة والمخرجة وما سوى ذلك من فنون المسرح، وبتلقائية مباشرة؛ وكانت خشبة مسرحها، تتكون من طبليات تتبرع بها نساء المعسكر، وكانت تقفز بينها، بخفة ورشاقة وحسن أداء... كانت ماريا معشوقة أهل المعسكر جميعهم، كبارا وصغارا، وإناثا وذكورا، وكانت تبادلهم مشاعر الحب العميق؛ لكنها لم ترتبط بأية علاقة خاصة سوى علاقتها الحميمة معي!

وحين استرقتْ السمع، عندما ألصقتْ أذنها بصفيح نافذة بهيجة، كانت ترسم بعينيها وصوتها وحركات يديها وجسمها، بانفعال تلقائي غير مقصود، صورة حيّة مفصلة ومجسمه لما يجري في الحجرة الراقدة في ظلام دامس صاقع! أنين وشهقات وتأوهات وصرخات مكتومة وارتطامات ولكمات وتكوّرات وتمددات وقفز وقيام وركوع وسجود واشتباكات وارتخاء ثم صمت تعزف فيه موسيقى مجدولة من ضحك صاخب مكتوم وشهيق وزفير بدون افتراق!

بهيجة سيدة قاربت المئة عام، أو جاوزتها، محافظة وتبدو صارمة مرة، ورقيقة مرة أخرى، تتمتع بدرجة عالية من الصحة النفسية والبدنية، سمراء نحيفة تميل إلى القِصر، ولم يترك الزمن آثارا على وجهها، ولا يمكن لمن يشاهدها، أن يحكم عليها، بأنها تجاوزت العشرين؛ بهيجة أعجوبة العالم الثامنة!

النقل الحيّ المفصل لما يجري على الجانب الآخر للصاج، الذي عكسته انفعالات وملامح ماريا وحركاتها، لا يستبعد فرضية أن حجرة بهيجة كانت تستضيف زائرين منهم إناث ومنهم ذكور! وهنا يجب أن أذكر، أن سيرة بهيجة، تمنع من شطط أي خيال، وتخمين أن صاحبة الحجرة، ترتكب مخالفة أخلاقية تدنس ما عُرف عنها من صرامة وعفّة واستقامة! أنا محل ثقة بهيجة، وخازن أسرارها؛ لم يسبق لها أن أخفت عني شأنا من شؤونها؛ بهيجة كتاب مفتوح أمامي! لم أعتدْ على التلصص عليها؛ فلم أكن بحاجة إلى ذلك؛ لكني، تلك الليلة، انصعتْ لرغبة طائشة

من ماريا... أنا بطبعي لا أصمد أمام رغبة أنثى! ولا أعرف إذا ما كان هذا الطبع محمدة أمْ مذمة! تنهار حصوني فجأة، ودفعة واحدة، تحت ضربة سهم تبعثه نحوي عينا أنثى! أنا مع الإناث، على عكس ما أكون عليه مع الذكور البالغين؛ يصفوني بالعنيد! والنساء تصفني بالسهل اللين المطيع! زلكن، مع تسامحي الزائد عن المطلوب، لا أنسى أن جسم المرأة وصوتها عورتان يجب قمعهما ونفيهما في الظلام الرطب، وتعلمت من دروس الدين أن أمي وكل مرأة أخرى، هي كيان هزيل وناقصة عقل ودين، ولكن كيدهن شديد؛ تلقيتُ أيضا أن الشيطان يُقبل مع اقبالها، وأن حواء هي المسئولة عن طردنا من الجنة؛ أنا ابن ثقافة ذكورية مارقة جاحدة! وسمعت أبي مرات عديدة يصف المرأة الزوجة بأنها مثل الحذاء، تلبسه متى تشاء، وتخلعه متى تشاء!

أما ماريا بنت ماريا، فقد قلبتْ مفاهيمي رأسا على عقب!

جاء تغيري متأخرا؛ همستْ ماريا بعذوبتها، وأنا أرمي رأسي على كتفها، فقالت: التغير لا يرتبط بزمان ولا مكان؛ وكما علمتنا الحكمة، فإن ما يأتي متأخرا، خير مما لا يأتي! بيني وبين ماريا، سبعون عاما؛ أليس هذا عائقا في طريق حبنا يا ماريا؟!

- توصي الحكمة التابية كبار السن أن يتخذوا لهم عشيقات شابات!

حضنتْ راحتاها رأسي، وغزت سهام عينيها قلبي، وأردفت بغنج وبلهجة عامية تستبدل الدال بالضاد: أنا رادي وابويا رادي، وانته مالك يا كادي! وطبعتْ قبلة حارة على فمي فاقد الأسنان كلها! وقالت بمرح خلاب: أموت فيك يا ميدو يا ممدوحتي!

- أنتِ حياتي التي بُعثت من جديد!
- عمركَ منذ الآن عشرون عاما!
- كلا؛ ستة عشر عاما!
- أصغر مني؟!
- بل أنتِ أكبر مني!
- أنتَ حبي الأول والأخير!
- أنتِ رحيق حياتي وحريتي وبهجتي وارتقائي!
- أنتَ هوائي ونبضي!
- أنتِ مائي ودمائي!
- أنتَ عشّي الوثير الآمن!

- أنتِ دفئي ونسيمي!
- أنتَ الماضي والحاضر والمستقبل!
- أنتِ السرمدية وخلودي ونعيمي!
- أنتَ السلام!
- أنتِ العدل والوئام!
- أنتَ البناء والرخاء!
- أنتِ الرفاه والنماء!
- أنتَ الإنسان!
- أنتِ ربة الإنسان!
- أنتَ الحامي!
- أنتِ الحِمى!
- أنتَ الشوق!
- أنتِ أنا وأنت!
- وأنتَ أنتَ وأنا وهي وهو!
- وماس؟!
- مجد الإنسان قام!
- زغردي يا نغم الشوق والعشق والنجم والبحر والبَر والقمر!
- هيا نصلي عرايا ونرقص في الفضاء المبسوط المشهود!
- لبيك والحب يباركنا ويحفظنا ويهبنا الأبدية وينقش في كتاب العالين الخالدين اسمنا وسمتنا...!

****

ماريا؛ أمس زرتُ بهيجة، لا أخفي عليك أني متيّم بها، ولكنها كانت مختلفة عما عهدتها عليه، بدت كتومة جدا، لم تفتح لي خزانة اسرارها، كما كانت تفعل دائما، وأنا لا أجرؤ على سؤالها عما تخفيه؛ معذرة، أنا أعتقد، أنني لا أملك حق سؤالها عن ما جرى في حجرتها تلك الليلة!

- ما سرّ انشغالكَ بما يجري في عالم ليس لك؟!
- العالم كله عالمي، وعالمك أيضا؛ العالم هو عالم كل عضو فيه!

حديثي لم يرقْ لصديقتي ماريا؛ أرْخت ذراعها التي كانت تحضنني بها، ونحّت عنها ذراعي التي كنت أشدّها حول خصرها، رمقتني بنظرة مرتابة، وتنهدت، وابتعدت عني مسافة لا تسمح ليدي بالوصول إليها، وأعطتني ظهرها، وتكورت على نفسها...

- أنتِ عالمي وحياتي يا ماريا وحبي وشوقي وعشقي المعتّق!

جلستْ القرفصاء، مسحت دموعها، وقالت بانكسار: المرأة بقلب واحد، وأنتم يا معشر الذكور، لكل منكم ألف قلب؛ متقلبون لا يؤمن جانبكم! قهقهْت حتى ارتميت على ظهري، فقفزتْ من مكانها نحوي، وجلستْ على صدري، وضغطتني بمؤخرتها، وقصفتني عيونها بسهام من حب ولهب، وقالت بانفعال: لكنني لن أتركك تذهب لامرأة أخرى، لا في حياتك ولا بعد مماتك، لا في الأرض ولا في الجنة!

لففتُ خصرها الرهيف اللدن بذراعيّ، وابتسمتُ وقلت: لن أموت! بحبك يا ماريا لن أموت!

- وأنا لك ومعك إلى الأبد!

همستُ في اذن ماريا: أشعر أنني فتى في السادسة عشرة! نهضتْ ماريا، وصعدت إلى قمة الكثيب العالي، وصاحت بأعلى ما تستطيع: أيها الهرمون؛ الحب يعيدكم شبابا من جديد؛ أيها الفتية: الحب يحفظكم شبابا إلى الأبد! جرّبوا الحب وابتهجوا به؛ الحياة بلا حب مبتهج حقل قاحل!

- قولي أيضا: الموت حياة خلت من الحب والبهجة والحرية!
- والسلام أيضا يا حبي الأبدي!
- أجل يا حياتي الأبدية!

كنا في الهزيع الأخير من ليلة شتوية قارصة حالكة السواد هوجاء العواصف... سكان المعسكر غارقون في النوم؛ وفجأة، انقشع الظلام واستنار الكون بنور القمر المكتمل؛ وفي اللحظة ذاتها، كانت بهيجة تنتصب أمامنا كمارد رأسه في السماء: لبيك يا حب لبيك؛ قالت وحملتنا على كتفيها العاريين البضّين ونحن عاريين، وهتفنا بصوت جهوري مجدول من نبرة الأنوثة الغالبة ونبرة الذكورة الباطنة: لبيك يا حب لبيك! ثم ولجنا أزقة المعسكر كلها، ونحن على حالنا، نهتف: لبيك يا حب لبيك! مضت بنا بهيجة إلى حجرتها، كانت مفتوحة الباب مفتوحة النافذة بلا سقف ومضيئة كأنها في وسط نهار ربيعي ساطع فوق ذروة جبل شاهق... كانت حجرة بهيجة معبّقة برائحة أنثوية طبيعية تنفذ في كل خلايا الإحساس وتنعشها بنشوة تعود لبدء الوجود، إذا كان للوجود بدء!

جلسنا على حصيرة مهترئة، أشعلت بهيجة موقد الكاز لتعدّ لنا شايا اخضرا... اقتحمت سيدة تكتم بكفها صراخ آلام الوضع، وتشدّ بكفها الآخر على أسفل بطنها، رقدتْ على ظهرها وفتحت فخذيها، وبمهارة فائقة، سحبت بهيجة توأمين منها، وما

أن فصلت المولودين، وكانا أنثى وذكرا، حتى قفزت الأم ولا زالت السوائل تتدافع غزيرة منها، ولملمت ثيابها حولها، وفرّت إلى المجهول! انطلقت ومعي ماريا وراءها، ذهبنا كل في اتجاه، كان القمر محجوبا بالغيوم الثقيلة، والظلام يلف الأزقة الضيقة والناس جميعا يغطون في النوم العميق... ومع أول تسلل إشراق ضوء نهار جديد، في الأفق البارد، التقيت أنا وماريا عند حمارة كانت تحت شجرة جُميز قديمة نابتة ما بين كثيبين يحدان مساكن اللاجئين من جهة الشرق... كانت الحمارة تنهق نهيقا باكيا... استدرنا أنا وماريا، لنعود خائبين إلى بهيجة... تبعتنا الحمارة... قبل دخولي أنا وماريا حجرة بهيجة، تفحصنا الزقاق الذي يفتح عليه باب الحجرة، لم نجد أثرا لأقدام بشرية، سوى آثار أقدامنا أنا وماريا؛ كان هناك آثار حوافر حمارة مرت بسرعة! دخلت أنا وماريا من باب بهيجة؛ وفي اللحظة ذاتها، دخلت معنا مرأة... خرجت أنا وماريا وأعدنا فحص آثار الأقدام القادمة للحجرة، فوجدنا آثار حوافر الحمارة التي كانت تتبعنا، ولم نجد آثار أقدام آدمية غير آثار أقدامنا أنا وماريا...!

قالت بهيجة توجه حديثها للمرأة: أنتِ أمّ الأطفال!

- أجل!
- أين أبوهما؟!
- اختفى منذ بدأ حملي بهما!
- ما اسم أبيهما؟!
- لا أدري؛ كل ما أستطيع تأكيده، هو أنه كان يمشي على ساقين، لا على أربعة!
- فهمتُ... فهمت!
- اختاري اسما نناديك به، حينما تكوني بيننا...
- كلا؛ اعفيني من ذلك!

حضنتْ المرأة الطفلين، وأرضعتهما حتى ثملا واستسلما للنوم الملائكي؛ وانصرفت، وكانت حافية القدمين! وقمت على عجل، لأتأكد من أمر لا يتصوره خيال مهما شط به الجموح، فتفحصتُ آثار الأقدام الخارجة من باب بهيجة، فلم أجد بينها آثار أقدام أنثوية حافية؛ وجدتُ آثار حوافر حمارة مهرولة!

عدتُ إلى حجرة بهيجة، كانت ماريا تحمل الطفلين على صدرها وقالت: أنا منذ الآن أمّ لهما؛ وصحتُ بنشوة: وأنا منذ الآن أبوهما... لم يبكِ الطفلان منذ ولادتهما، وظلت بسمة هادئة مشوبة بحزن رفيق، تكسو وجهيهما الحسناوين المتشابهين تماما؛ وحين لثما ثديي أمهما، كانا يرضعان باطمئنان وعلى مهل وبتعال وكبرياء!

قالت بهيجة: اذهب الآن يا ممدوح، لاستخراج شهادة ميلاد لكلا الطفلين باسم: هابيلة وهابيل!

- وفي شهادتي الميلاد سأكتب اسم الأمّ: ماريا بنت ماريا؛ واسم الأب: ممدوح المسيلمي!

أسررتُ إلى بهيجة بحقيقة أم الطفلين، فلم تُبدِ ملامح سحنتها ما كنت أتوقعه من دهشة واستغراب؛ ابتسمتْ وأطرقتْ برهة ثم قالت بصوت خافت، لكني سمعته: علاقة جنسية بين آدمي وبهيمة مسالة تقع ووقعت في كل الأماكن والأزمان، هذه ظاهرة تُسمى (الزوفيليا Zoophilia)؛ ولكن أن تنجب حمارة أطفالا آدميين من علاقة بينها وبين آدمي، وتنقلب الحمارة إلى آدمية كلما دخلت من باب حجرتي، وتعود حمارة كلما خرجتْ؛ فهذا معجزة!!

قلت، أتحدث إلى نفسي: هنا وطن المعجزات! وخطر لي على الفور، أن هذه المعجزة، هدية من الله، وأنها سلاح مبتكر، يمكن لنا أن نرعاه وننميه ونستثمره، لقهر عنصرية وعدوانية مغتصبي وطننا... أحمدك يا رب العدل يا ناصر المظلومين!

٣

محاكمة

قبّلتُ شفتيّ ماريا ووجنات الأطفال وجبين بهيجة واتجهتُ نحو باب الحجرة بعزم الخروج لإتمام إجراءات استخراج شهادتَي ميلاد هابيلة وهابيل. قف! صاحت بهيجة؛ التفتُّ إليها بينما كانت قدمي اليمني خارج الباب، وقدمي اليسرى لا تزال داخل الحجرة؛ عادت تقول: قف! كانت تنظر من النافذة، وتتلفت يمينا وشِمالا... عدتُ ووقفتُ جانبها، تفحصنا أرض زقاق النافذة؛ أنظر، هذه أثار أقدام غريبة مرّت من هنا؛ قالت؛

- قريبة جدا من النافذة!
- الأمر مريب! كن على حذر!

خرجتُ وأنا أحاول تفسير مرور غرباء يقرب نافذة حجرة بهيجة، التي لم تعد مغلقة كما كانت من قبل...كانت آثار الأقدام تشير إلى جلوس أصحابها القرفصاء لصق الجداء تحت النافذة من الخارج!

رحبّ بي موظف السجل المدني، قدّم لي كرسيا وقال: تفضل، أنا تحت أمرك...

- أريد تسجيل طفلين لي واستخراج شهادتَي ميلاد لهما...
- أطفالك أنت؟!
- أجل!
- متى ولدوا؟!
- أمس!
- أمس؟! لم أعهد من قبل أنك تحب المزاح!
- لا أمزح!
- حسنا؛ ما اسم الأم؟!
- ماريا بنت ماريا...
- أنتَ اليوم مصرّ على المزاح!
- كلا!
- لم يلاحظ أيٌّ من سكان المعسكر، أن ماريا كانت حاملا... ثمّ؛ هل ماريا زوجتك؟!

- أجل!
- أرني قسيمة زواجكما!
- تزوجنا بدون قسيمة رسمية!
- وبين ليلة وضحاها، أنجبتْ ماريا منك أيها الشيخ الطاعن في السن، طفلين! مبارك!

حدّق الموظف فِيَّ بنظرات شك واتهام واندفع إلى حجرة مديره وأغلق بابها عليهما وغاب بضع دقائق ثم عاد إليّ وقال بتجهم: لن نتمكن اليوم من انجاز معاملتك!

- متى أعود؟!
- لا تعُدْ!
- نهضت، وبثقة وعزة نفس وشموخ وتعال وكبرياء، قلت: لا حاجة بي إلى شهادة ممهورة بتوقيع محتلّ عنصري منغلق جائر غاصب ؛ ماريا بنت ماريا زوجتي وهابيلة وهابيل ابنانا بشهادة الله والحب الأعظم والحمارة وبهيجة والحق والعدل والسلام!
- الحمارة وبهيجة؟! لسانك أدانك!

افتعل ضحكة صفراء وأدار لي ظهره وقال بتعجرف: انتهى دوامي! تفلت عن يساري ومضيت عائدا إلى ماريا وهابيلة وهابيل وبهيجة؛ وكانت الحمارة معهم، حمارةً لم تتبدل، آمنة مطمئنة مبتسمة، وتداعب طفليها النائمين بأذنيها، وبلمسات رقيقة، وتنهق كما لو كانت تقهقه!

قبّلت الحمارة والطفلين وماريا وبهيجة وجلست بينهم وقصصت عليهم ما جرى معي، فقهقهت المرآتان وأنا معهما والحمارة والأطفال النائمين قهقهوا، وضرطت الحمارة واشتعلت الحجرة الباردة الرطبة بقهقهتنا الصاخبة؛ فاجتمع الجيران وجيران الجيران وتزاحموا في الأزقة حولنا وقهقهوا وضرطت حمير المعسكر كلها وانتقلت حمّى القهقهة الصاخبة إلى كل مكان في المعسكر بما في ذلك مكتب التسجيل المدني ومركز الشرطة والسوق وكل مؤسسات المعسكر وجوانبه! هدأت قهقهة الناس لكن الحمير واصلت النهيق الصاخب المقهقه وواصلت ضراطها؛ فحاصرت الآليات الإسرائيلية المعسكر من كل جهاته واكتظت السماء بالمروحيات العسكرية وتقدمت قوة إسرائيلية نحونا واقتحمت بهمجية عمياء حجرة بهيجة واعتقلتنا أنا وماريا والطفلين وبهيجة والحمارة! وتصدّع النهار بصيحات ترددت في المعسكر كله، تهتف: لبيك يا حب لبيك! وظلت الحمير تقاوم الهجوم الإسرائيلي بالنهيق والضراط حتى انسحبت القوات الغازية من جميع أنحاء المعسكر!

بعد اقل من ساعة، قطعت وسائل الإعلام الإسرائيلي المسموعة والمرئية برامجها وبثت ما وصفته بخبر عاجل وخطير، نسبته إلى المتحدث الرسمي باسم جيش الدفاع الإسرائيلي، يقول إنه تم قبل قليل اعتقال خلية خطيرة أعضاؤها مخربون فلسطينيون هم يهودية وحمارة وطفلان وامرأة ورجل طاعنان في السن!

وقبل بزوغ الفجر كنا نحن الستة، في قفص حديد، نواجه اتهامنا لنا، مشتركين، بتدبير مؤامرة هدفها تدمير دولة إسرائيل، وبناء مملكة راية الحب البيضاء!

كان الطفلان، منذ اعتقالنا، قد تحوّلا إلى حمارين صغيرين! وهكذا، أصبحت مملكة راية الحب البيضاء حتى الآن ثلاثة حمير وثلاثة آدميين!

كانت لائحة الاتهام الموجهة ضدنا، تدين حمارة وستة آدميين، بالتواطؤ معا، على تأسيس مملكة راية الحب البيضاء في جميع أراضي فلسطين الممتدة من الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، إلى حدود كل من دولة الأردن وسوريا الغربية، ومن الحدود اللبنانية الجنوبية حتى رفح وخليج العقبة جنوبا...

وكان المتهم الآدمي السادس، هو الأب البيولوجي الأدمي للطفلين هابيلة وهابيل؛ وهو غائب ومجهول الاسم والعنوان والهوية والصفات، ولا يدري أحد هل هو حيّ أمْ ميت، أو هو حقيقي الوجود أمْ مفترض الوجود... وسيبقى هذا المتهم غير محدد وغائبا عن الأسماع والأنظار، حتى تقوم مملكة راية الحب البيضاء في جميع ربوع فلسطين؛ بلد المعجزات...

لم ينظر القاضي الإسرائيلي إلى قفصنا، كان يضع نظارة سوداء ثقيلة على عينيه، وكانت مثل قناع يغطي أنفه وفمه ويمتد من الجانبين إلى ما وراء أذنيه الطويلتين، أطولَ من أذنيّ حمارتنا، وتختلف عنها، أنهما كانتا مرتخيتين متدليتين، بينما كانت آذان حمير مملكة راية الحب مشدودة وتتجه للأعلى؛ ولم يلاحظ القاضي أن الأطفال تحولوا إلى نوع الحمير؛ علمتُ فيما بعد، أن القاضي كان أعمى البصر، كما كان أعمى القلب والعقل وأصمّ وأبْكم!

كان القاضي نحيلا أصلعا أحمر الوجه وشاحبه وسمينا قصيرا دميما؛ يجلس مذعورا يلتفت بقلق وفزع يمنا ويسارا وإلى الوراء، متكورا غائصا خلف منصة كبيرة حالكة السواد، على كرسي عالي الظهر ومساند اليدين، يتوسط مقعدين فارغين؛ وكانت قاعة المحكمة صغيرة منخفضة السقف وبلا نوافذ وذات رائحة بغيضة؛ وباستثناء حاجب قصير عريض المنكبين ضيق العينين كثيف الحاجبين غليظ الكفين والعنق والوجنتين والشفتين والأنياب وكبير الكرش، لم يحضر

المحاكمة مدّع عام، أو محامي دفاع أو رجال إعلام أو جمهور! لكن القاعة كانت مدججة بكاميرات المراقبة، ومحروسة من الخارج بمسلحين وآليات عسكرية!

لم نُعِرْ القاضي اهتماما... كان الحماران الصغيران يلاعبان أمهما حينا، ويرضعان حينا آخر؛ وكنت أنا أعانق ماريا مرة، وألثم نهديها وبطنها مرة أخرى، وكانت بهيجة تدمدم بكلمات أغنيات حب للفنانة أم كلثوم وترقص على أنغامها...

سمعت رطانة بالعبرية بين القاضي والحاجب؛ فاندفع الأخير نحونا وفتح باب القفص الضيق المنخفض، ومدّ ذراعة نحو الحمارة فعضت ذراعه فصرخ من شدة الألم فانشقت قاعة المحكمة عن جنود بخوذاتهم وواقيات الصدور وسلاحهم المصوّب نحونا والمعدّ لإطلاق النار... نهقت الحمير الثلاثة واندفعت من خارج القفص واستدبرت الجنود والقاضي والحاجب المرتعبين وأطلقت الحمير في وجوههم ضراطا صاخبا متواصلا كريه ورفست الحمارة الأمّ القاضي فسقط على ظهره وفرّ الحاجب والجنود، وقهقهت الحمير ورقصت وقهقهنا أنا وماريا وبهيجة وتعانقنا نحن الستة ورقصنا وهتفنا: لبيك يا حبّ لبيك؛ وغادرنا قاعة المحكمة... وبزغت الشمس من بين الغيوم الكثيفة، وأشرق نور من نور الحرية المبتهجة بالحب!

اتجهنا نحن الستة، إلى عريشتي، دار خلوتي أنا وماريا، بين الكثبان... وتعاهدنا على أن نبذل كل ما نستطيع، لرفع راية الحبّ البيضاء، عالية فوق كل الرايات!

وفوق الكثبان، تحولت الحمير الثلاثة إلى آدميين... واقترحت ماريا علينا، أن نقيم مهرجانا جماهيريا، فوق الكثبان، بعنوان: مهرجان بهيجة! صفّقنا، وحضنّا بهيجة، ورفعناها في الهواء، وضحكنا ورقصنا معا...

خريطة فلسطين كما رسمتها اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦م بين الدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا والتي أسفرت عن تقسيم بلاد الشام (سوريا الكبرى) إلى أربعة أجزاء تحت مسميات فلسطين والأردن وسوريا ولبنان؛ وسمح ذلك بإصدار الحكومة البريطانية لما عرف بوعد بلفور في ١٩٧١/١١/٢م، الذي أعلن دعم بريطانيا لتأسيس وطن قومي ليهود العالم في فلسطين التي كانت منطقة عثمانية ذات أقلية يهودية (٣-٥% من إجمالي سكان كان أغلبهم عربا فلسطينيين)، كخطوة أولى سهلت هجرة اليهود من شتى دول العالم إلى فلسطين، بعد خضوعها للانتداب البريطاني، وأدى ذلك إلى إقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م، بعد انسحاب الجيش البريطاني وطرد غالبية مواطنيها العرب منها.

٤

عقدنا جلسة تشاور؛ جلستُ قبالة ماريا، وجلستْ بهيجة قبالة الحمارة، وتركنا بيننا مساحة تسمح للطفلين بحرية اللهو... رفرفت فوقنا راية بيضاء ناصعة تلف قلبا كأنه من بلّور تتماوج فيه كل الألوان... حضننا النور الدافئ... تبادلت عيوننا الابتسامات وخفقت قلوبنا بالحب ونهضنا وتشابكت أكفّنا ورقص الطفلان وسطنا على أنغام موسيقى كونية ناعمة مبتهجة... قالت الحمارة: رفستُ القاضي لإصدارة أمرا بفصلي عنكم، وترحيلي من غزة إلى تل أبيب!

قالت ماريا: رددنا كيدهم إلى نحرهم!

قالت بهيجة: يريدون اكتشاف سر إنجاب حمارتنا لأطفال آدميين من أب فلسطيني!

قلت: ميل الميزان الديموغرافي لصالح الفلسطينيين العرب، سلاح فتاك لن يقووا على هزيمته!

قالت ماريا: سننتصر بالحب النابض في قلوبنا وأرحام نسائنا وحمائرنا...!

قهقهت الحمارة وقالت: أنا لستُ حمارة؛ لكن لا عليكم، واصلوا تسميتي باسم الحمارة وإلى حين!

أطرقت بهيجة وقالت: لن يسمحوا لنا بإقامة المهرجان!

قالت ماريا: لسنا بحاجة إلى موافقتهم!

قالت الحمارة: راية الحب البيضاء هي الخطر الأشد على ظلاميتهم وعنصريتهم وانغلاقيتهم وعدوانيتهم!

أنشدنا ومعنا الطفلان والراية والقلب البلّوري: سننتصر... لا محالة سننتصر... الحب دائما... دائما... ينتصر! وقهقهنا ورقصنا ونحن لا نزال ننشد: سننتصر... لا محالة سننتصر... الحب دائما... دائما... ينتصر!

حضنت بهيجة ماريا، وأمطرتها بقبلاتها الشغوفة الحانية وقالت لها: أعدّي خطاب افتتاح المهرجان... قدّمت الحمارة أوراقا بيضاء وقلما سماوي المداد، لماريا... وفجأة، انشق الهواء عن ضجيج طائرات عسكرية إسرائيلية مروحية، هبط منها جنود مدججون بالسلاح؛ حاصرونا وصرخ قائدهم بحنق وغيظ متفجر: أين تختفي الحمارة وطفلاها وابوهما الآدمي؟!

لم نعرْهم اهتماما ولم نجب! انسحب الجنود خائبين مهزومين وغاب أزيز الطائرات من الأفق!

قالت ماريا: سيغيب ظلمكم وظلامكم وجهلكم وفسادكم وسينتصر الحب في وطني!

عادت بهيجة إلى حجرتها، ولحق بها الطفلان وأمهما الحمارة. وقفنا ماريا وأنا نتأمل النجوم الشاهقة، وخال لي أنها تهبط واحدة بعد أخرى وتدنو منا بخشوع المصلين وتصافحنا وتحضننا بحنان وشغف ثم تعود إلى الصعود... داعبتُ خصلات الشعر المنسدلة على كتفيّ وظهر وصدر ماريا، وتسللت أناملي برقة لمداعبة حنايا جسمها المتوقد المشتهى، فالتصقنا وحملتُها إلى داخل دار خلوتنا واهتز الكثيب تحتنا وحملتنا النشوة إلى غيبوبتنا الصوفية وغفونا ورأيتُ في المنام أننا أفقنا على لمعان يخطف الأبصار منبعث من عدسات آلات تصوير تحاصرنا من كل اتجاه، واندفعت أياد خشنة غليظة فظة فشدت وثاقنا عرايا ملتصقين ودفعت بنا إلى قاع آلية مصفحة نقلتنا إلى زنزانة ضيقة في سجن السرايا وسط غزة حُشرنا فيها ونحن لم نزل عرايا ملتصقين؛ ولم تفارقنا راية الحب البيضاء وظلت منيرة خفاقة فوقنا وحولنا! داعب النعاس المطمئن جفوننا، فألقت ماريا رأسها على صدري واتكأت رأسي على جدار الزنزانة الخشن، واستغرقنا في نوم ناعم هانئ حتى ايقظتنا يد غليظة نزعتنا من بين الجدران العفنة ودفعتنا إلى قفص واطي السقف وضيق داخل قاعة محكمة كانت غاصّة بنساء ورجال إعلام بأجهزة تسجيل وكمرات تصوير فوتوغرافي وتلفزيوني، ورجال بلباس مدني يحملون مسدسات على جنوبهم! كان القاضي يعتمر بعمامة إسلامية هزيلة، تلتف تحت قلنسوة دينية يهودية سوداء!

لا زلتُ أنا وماريا في الحلم عاريين تحت بطانية كئيبة رثة أُلقيتْ علينا، وكنا شاردين بعيدا عما تضج به قاعة المحكمة خارج قفصنا؛ كنت أنا وماريا موثقين وجها لوجه وكان ظهْر ماريا نحو القاعة، وارتجّ هواء القفص برجّتينا فسقط الغطاء كالح اللون كريه الرائحة عن بدنينا، فالتهمت العيون الشبقة الجوعى ردفيّ ماريا المكورين كقبتين عاجيتين وهزّت ردفيها فاهتزت القاعة وانتفض القاضي فوق كرسيه وانتفض كل من في القاعة ثم أدارت ماريا لي ظهرها بمشقة لشدة ربطنا وهوت ساجدة فهويت فوقها، فأنا وهي كنا جسما واحدا ذا شقين، وهوت كل النساء فهوى القاضي فوق أقرب امرأة منه وهوى الرجال كل واحد فوق أقرب امرأة منه، وصمد من بين الجميع مصور التلفزيون الرسمي الإسرائيلي... اهتزّ كل ذكر وأنّت كل امرأة في القاعة وأُدميت ونهض القاضي دائخا وتبعه كل الساجدين بين الألايا الأنثوية وكانوا كلهم دائخين أيضا؛ أما أنا وماريا فقد واصلنا صلاتنا... عاد القاضي إلى مقعده، كان حاسر الرأس،

فانتفض وصاح بغضب أين قلنسوتي؟ فردت امرأة وهي لا تزال ساجدة: تحتي! فاسرع الحاجب وأعاد القلنسوة ومعها العمامة للقاضي، فوضع القاضي القلنسوة اليهودية فوق راسه، وكان يسيل منها دم ومنيّ انحدرا إلى جبينه وعينيه ووجنتيه وشفتيه ولحيته وعنقه، وأعلن الحاجب بدء جلسة محاكمتي أنا وماريا؛ لكن النسوة الساجدات نهضن واستوين واقفات يتوجعن ولم يزل نصفهن الأسفل عاريا يسيل من مؤخراتهن خليط من اللونين الأحمر والأصفر وأدرن كلهن ظهورهن للقاضي واشرن إلى مواضع آلامهن ثم أستدرن وبصقن ورفسن الهواء وخرجن من القاعة بعد أن قالت ضحية القاضي أنها ومعها الأخريات جسَدن إجلالا لراية الحب البيضاء المرفرفة حول القلب البلّوريّ الخفاقة فوق الساجدَين في قفص الاتهام! وتضامن رجال الإعلام مع زميلاتهم وانسحبوا من القاعة باستثناء مندوب التلفزيون الإسرائيلي الحكومي! وانسحب الحاجب وكثير من رجال الأمن أيضا!

تململتْ ماريا في حضني فصحوتُ نصف صحو وشددتُ ذراعي حول خصرها واستغرقني نومي من جديد واستأنفتُ الرؤيا فإذ بالقاضي غدا قردا بلا ذنب وقفز فوق المنضدة وداس العمامة والقلنسوة ففزع من تبقى في القاعة وفروا ثم عاد القاضي إلى هيئته الآدمية بهي الطلعة مرفوع القامة واتجه نحو قفصنا وأدى تحية عسكرية وقال: العار لنا والمجد لكما؛ وانحنى وخطا إلى الخلف لم يستدبرنا وهو ما يزال يؤدي لنا التحية ويردد: العار لنا والمجد لكما...! وعلى عتبة باب القاعة انحنى واختفى؛ فتقدمت منا الحمارة فكسرت قفل القفص الغليظ وفكت قيدنا وخفضت ظهرها فركبناها، ماريا في حضني وأنا وراءها؛ فصافح أول شعاع الشمس عينيّ فنهضتُ من نومي مبتسما منشرحا... ونهضت ماريا من نومها وقصصتُ عليها رؤياي فأجلستني فوق حجرها وسألتني: ماذا ترى؟ قلت: راية الحب البيضاء عالية خفّاقة في النور المبتهج وفي حضنها القلب البلّوري ينبض واراه يرتقي وينزل! فقالت: أبشرْ وقُمْ فبشِّرا!

٥

ماس يتحرك في أحشاء ماريا...

- ماذا تتوقعين؛ هل هو ذكر أمْ أنثى؟!
- أودّ أن يكون في رحمي اثنان أو أكثر!
- ستُرهقين برضاعتهم والسهر عليهم وتربيتهم!
- يهون عليّ كل أمر من أجل أن تعلو راية الحبّ البيضاء فوق كل الرايات!
- ربّة الحبّ أنتِ يا ماريا، ومن رحمك الطاهر سينهض نبي كما نهض من اليسوع عيسى من رحم ماريا اليهودية القديسة؛ ومن قلبك سيُبعث ربّ الحبّ وسيصعد ليجلس على الكرسي العالي وينزّل نور الحب على كل قلب ويضئ كل درب فتُنبت الأرض طيبات مشاع لكل من يدبّ عليها وتخلد الحياة ويغيض الجهل والمرض والبؤس والموت!
- وأنتَ أبا زرعي حارس حقلي وبهجة حبي وأول الكون بلا بدء وكل كون بلا نهاية من ضلع منك خلقتُ ولك جعلتُ وخضعتُ ورضيتُ ورثتُ خصالي عن ابي وأمي عن أمها وأبيها ورثاها كما تعلماها من الكتب وترسخت فيهما كما فُرضتْ عليهما وعليّ أيضا...
- كلا يا ماريا كلا!
- قالت الكتب وللرجال عليهن درجة!
- ويقول ربّ الحب المبتهج وللنساء عليهم درجات؟!
- قالت الكتب الرجال قوامون على النساء!
- كتاب الحب يقول ها قد صدقت الكتب يا ماريا فالرجال حرّاثون بذّارون خدامون في مملكة الحب والنساء تحتهم فوقهم في قلوبهم أمامهم خلفهم على أكتافهم في أحضانهم في نومهم في صحوهم في قربهم في بُعدهم!
- وماذا يقول كتاب الحب أيضا؟
- يقول ويح الرجال يشتهون النساء ويسومونهن صنوف الشقاء!
- زد وبشِّر!
- شكت أمّ أطفال أيتام جوعى عمرَ لعمر: يتولى أمرنا ويغفل عنا...
- حمل عمر من بيت مال المؤمنين وعلى ظهره قوتا وأطعم الصغار بيده!
- حاكم عادل وتاريخ مضيئ!
- وحاضر مظلم!
- لكن عمر ضرب بالدرة أمَة تشبهت بالحرائر من المسلمات!
- في كتاب الحب يا ماريا يا بهجة قلبي كل النساء كريمات في النور حرائر يلدن كراما أحرارا... كتاب الحب كتاب نورنا وحريتنا وبهجتنا!

- لماذا بات الناس هنا ينفرون مني ومنك؟!

جاءت بهيجة ومعها الحمارة والطفلان؛ أعدتُ سؤال ماريا: لماذا بات الناس ينفرون من ماريا ومني؟! قالت بهيجة: ومني أيضا... هزت الحمارة رأسها وذنبها وشردت عيناها ونهقت ورفست في الهواء بأعلى صوت ثم قالت لطفليها: اركباني يا أبناء الجنيّة!

خيم الصمت علينا وشردت أذهاننا ثم ابتسم كل منا لرفيقيه ونهضنا ولعبنا الحجّيلة حتى نال منا التعب فتمددنا وكنتُ بين ماريا وبهيجة وعاد الصمت يلفنا حتى قطعته بهيجة: لا يقترب من الناس علانية ولكنهم يتزاحمون في حجرتي متدافعين تحت جنح الظلام! قالت ماريا: هكذا لن نستطيع إقامة مهرجاننا...! قلت: لن يهزموا رايتنا، وسيرتد الكيد إلى نحور أهله! قالت بهيجة بصخب طفولي مبتهج: هل أعددتِ خطاب المهرجان يا ماريا؟ قلت: دعونا نتمهل حتى نستوضح ما يجري في الخفاء! اضفت: هيا بنا إلى حجرتك يا بهيجة لنسمع منها خطبة الجمعة!

حجرة بهيجة تضطرم بعبق عطر أنثوي عتيق شبق طاغ مستبد جَسور، وأعترف أنه شهّاني في صاحبته البالغة مائة عام ولكنها في بهاء الصبايا... ارتقى خطيب الجمعة منبره، وارتقيت أنا منبري! زغردت ماريا، وغابت بهيجة في نشوة استمرت حتى الفجر التالي؛ فتحت عيناها وقالت لماريا: للحياة مذاق لم أخبره قبل ظهيرة الأمس!

أنهى خطيب الجمعة خطبته الأولى بتلاوة أية القرآن الكريم التي تقول: اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة! تجاهل أو نسي أن يلقي الخطبة الثانية وأمر بإقامة الصلاة! ثم تزاحم المصلون للخروج من باب المسجد الضيق وتعالى صخب شجار بين اثنين على حذاء كالح تنازعا عليه وكل يقسم بأغلظ الأيمان أنه حذاؤه؛ وارتفعت أصوات تلعن من تجرأ على سرقة أحذيتهم وتتوعدهم بعذاب شديد من الله يوم الحساب، وتلاعن ناس مع باعة وقفوا خارج المسجد وارتفع صوت يقول: عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: من غشنا فليس منّا؛ فرد ثان بسخرية جارحة أليمة: هكذا لن يبقَ في أمة محمد أحد! فعقّب ثالث: الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم الدين؛ وقال رابع: إلا قليل قليل! وقال خامس: لا تيأسوا من رحمة الله! وقال سادس: اقتربت الساعة! أضاف سابع: وانشق القمر؛ وقال سابع: خرج قرن الشيطان! وأضاف ثامن: ويأجوج ومأجوج تكادان تزحفان! وتلى تاسع: اقتربت الجولة الأخرى بين المسلمين واليهود وسنذبح رجالهم ونغنم أموالهم ونسترقّ غلمانهم ونساءهم كما ذبح أعظم الأنبياء محمد علية صلوات الله وتسليمه يهود بني قريظة؛ قال تاسع: قتلة الأنبياء، يستحقون ذلك! قال عاشر: أبناء القردة والخنازير! قلت:

وكرمنا بني آدم! وقرأ شيخ المسجد: فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا، وستظهر عن قريب الفئة التي تنبأ الصادق الأمين بظهورها في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ووصفها عليه الصلاة والسلام بأنها طائفة من أمتي لا تزال على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله. وهم كذلك؛ فقالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس؛ وسيظهر المهدي ويملأ الأرض عدلا... وقال رجل لآخر: هيا بنا، أولادي لن يتركوا لي حصة من الغداء؛ فسأله الآخر: ما غداؤكم؟ أجاب: عدس! قال الآخر: رائحة طبيخ العدس تزكم الأنوف! كنت أسمعهم وأنا أراقبهم من نافذة حجرة بهيجة؛ قلت بصوت جهوري: قضى العدل أن يطبخ كل أهالي المعسكر عدسا؛ فما حاجتنا إلى المهدي يا ماريا؟! قال خطيب الجمعة: اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة! قلت: عطاء بهيجة اليوم فتة بإلية خروف؛ رد الخطيب: أنا ضيف بهيجة الآن؛ ودفعني وقفز من نافذة الحجرة وتربع في وسطها وخلع الجبة والعمامة وألقى بمسبحته ومسد لحيته وقال أُشهد اللهَ ونبيه أنك من عتقاء النار ومقامك الجنة وأن ماريا وبهيجة زوجتاك فيها...!كانت بهيجة ثملة متمددة على ظهرها، وشبه عارية؛ ومثلها كانت ماريا! لكن الجوع كان يعض الشيخ فلم يبال بما تشاهده عيناه والتهم ما في القصعة وحمد الله وغادر متخما مترنحا...! قلت بصوت عال ليسمعني: اين سيظهر المهدي ليملأ الأرض عدلا؟! لم يلتفت ولم يبال بسؤالي! كان يسكن في بيت يجاور بيت بهيجة، فسمعته يأمر زوجته أن تأتيه بغدائه! وقبل أن يحل الظلام، ارتفع صوت قارئ القرآن في زقاق الشيخ وتزاحمت مناكب أهل المعسكر، وترحموا عليه؛ وجلسوا القرفصاء واشعلوا لفافات التبغ وتفلوا وصخبوا وذكروا سيئات أعمال الميت! لكن ماريا صاحت: اذكروا حسنات أمواتكم واستغفروا لهم! قلت: وأحيائكم! وعادت ماريا تقول: للمآتم وقارها وآدابها فاصمتوا وتفكروا واسألوا اللهَ في سرائركم الطهارة السلام لأرواح من مات ومن لم يمت واسألوه بركاته ومجدا للإنسان وكرامة! وأطبق الظلام وحملت النسوة أطباق العدس وأرغفة لا تزال ساخنة ورؤوس البصل وفصوص الثوم وحبات الطماطم وقرون الفلفل الحار وقلل الماء وأباريق الشاي بالنعناع وكؤوسه المعدنية الصدئة وتحلق الرجال والتهموا الطعام والشراب وتناقلوا أخبار النساء وقهقهوا وعضوا شفاههم وداعبوا أسافلهم وسعلوا وعادوا يدخنون ثم انفضوا بعد أن كانوا قد نسوا خطيب مسجدهم ونامت بيوت المعسكر تحت سحابة ثقيلة يتلاطم فيها شخير لا يتخلف عن المشاركة فيه احد من الذكور البالغين الآيسين ولم ينقطع حتى آذان الفجر؛ لكن ماريا همست في أذني أنها تسمع حسيسا أنثويا ملتاعا مجدولا من غنج وتنهد وتأوه وشهيق وزفير وتألم في

الأفنية المفتوحة تحت النجوم فتذوب الأصوات الخفية في فوح الحياة العطر وترتقي في المدارج الوضّاءة! سالتُ ماريا: كيف ينجبن إذن؟! قالت: إن الله على كل شيء قدير! قلت: تبارك الله ربي وربك رب المحبين! قالت: رب الأحرار به المبتهجين بحبه الأكرمين!

... ولا تزال بهيجة سكرى وللمرة الأولى بكأس طيب ارتشفته حتى الثمالة!

سالتُ ماريا: هل تحمل بهيجة مني!

- أجل؛ فالحب بذرة لا محيد لها عن إبداع الحياة في كل حقل!
- بلا استثناء؟!
- آجل؛ فالحب سرّ الكينونات وربتها وبهجتها السفلى والمتعالية!
- ألا تغاري يا ماريا؟!
- أتغار من تحب أيها الحب!
- اذا حملت بهيجة، فيستشيط أعداء الحب غضبا، وستشتد حرب الاحتلال العنصري الجاهل المظلم الغاصب المنغلق الظالم على راية الحب البيضاء، وسيفجرون بركانا هائجا علينا!
- وسيتحالف معه الجهلاء من قومنا ضدنا!
- وفي الجمعة القادمة، سيعيد الخطيب الجديد ما ردده ميت اليوم وسيتفاقم العدوان وبغي السلطان!
- أمّا الحب فلن يندحر ولن ينهزم!
- طبيعة الحب أن لا يندحر ولا ينهزم!
- الله نور حبنا المنفتح المتعالي المبتهج!
- ستعلن منابر صلاة الجمعة القادمة ظهور المسيخ الدجال!
- وستقصف طائرات الاحتلال العمياء راية الحب البيضاء!
- ستبقى راية الحب البيضاء خفاقة فوق كل الرايات ولن نهون ولن نخذلها ولن ينحني لها قامة ولن يطأطئ رأسها وسترقى من سماء إلى سماء فوقه حتى تعانق عرش الحب الأعظم!

عادت الحمارة وطفلاها بعد غياب خلناه دهرا... تعانقنا، وبينما الطفلان في حضني، سالتهما: أين كنتما يا حبيبيّ؟! قالت الحمارة: أخذتهما إلى أخوالهما...

- حمير؟!
- كلا!
- ألستِ حمارة بنت حمارة وحمار؟!

- كلا!

تركتنا وانصرفت تعدو وتنهق! وقالت بهيجة: أشعر بالحاجة إلى الخلاء!

اتجهنا نحو الشمال، وحين وصلنا أول قرية وراء حدود هدنة الـ ١٩٤٨م التي تفصل أراضي قطاع غزة عن الأراضي الفلسطينية المغتصبة التي تقوم فيها الدولة الإسرائيلية، قفز الطفلان بجذل فاعتليا ظهر أمهما... كانت قد سبقتنا إلى هنا... سرنا بين كثبان بلدة هربيا المغتصبة حتى جاوزناها؛ ارتقينا كثيبا عاليا... انظروا؛ تلك مدينة أمي؛ صاحت بهيجة وهي تقفز في الهواء وتصفق! زغردت ماريا وسألت: أأخوالك مجادلة؟! أجل، أخوالي هم من انحازوا إلى قرار تقسيم فلسطين بين العرب والإسرائيليين! قلتُ أداعبها بلهجة مجدلاوية: ياريتهم كسَّمُوْ! يمازح الناس أهلَ المجدل ويعيدون على مسامعهم عبارتهم التي لم تُنسَ: يا ليتهم قسموا فلسطين بيننا وبين المهاجرين اليهود من شتى بقاع الأرض إلى وطننا... القيادات الفلسطينية وبدعم من القيادات العربية رفضوا قرار التقسيم الذي دعت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة إليه بتاريخ ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧م...

قبلت القيادة الإسرائيلية حينئذ قرار التقسيم، واستندت إليه فأعلنت قيام دولتها على أرض فلسطين، عام ١٤٨م... أما لدينا، فقد كان القبول بقرار التقسيم خيانة وطنية عظمى؛ لكنه لدى أهل المجدل المعروفين بحنكتهم في تدبير شؤون الحياة، فقد كان حكمة! وحين خرج الزعيم التونسي الحبيب بورقيبة عن الإجماع العربي الشعبي والرسمي، ودعا خلال زيارته في الثالث من مارس عام ١٩٦٥م، إلى مدينة أريحا، أخفض الأرض ومن أقدمها حضارة، الواقعة في أغوار فلسطين الواقعة حينئذ تحت حكم العرش الملكي الأردني الهاشمي، إلى إحياء قرار التقسيم؛ قالت بهيجة: شجبت منظمة التحرير الفلسطينية دعوة بورقيبة، ودعت الجامعةَ العربية إلى فصل تونس من عضويتها... قالت ماريا: وبصراحة جاوزت الحد المسموح به في تقاليد السياسة، وعلى الهواء، وصف جمالُ عبد الناصر، زعيم القومية العربية يومها، رئيس مصر؛ دعوة بورقيبة بالخيانة العظمى للقصية الفلسطينية! أردفت بهيجة: ولم يجرؤ عربي واحد على تأييد بورقيبة علنا... واشاع الإعلام العربي القومي أن بورقيبة مخبول!

كان بورقيبة حامل لواء راية تطالب بأخذ المتاح والمطالبة لاحقا بالمزيد! قالت الحمارة: كانت القيادة الفلسطينية تراهن على الدعم العربي لتحرير أرض فلسطين كاملة!

- تحفظ ذاكرتي يا صحابي أن جمال عبد الناصر، خاطب وفدا فلسطينيا بقيادة حيدر عبد الشافي، زار القاهرة عام ١٩٥٩م، فقال: أنا لا أملك خطة لتحرير فلسطين، وكل الزعماء العرب مثلي؛ فإذا زعم أحد منهم غير ذلك، فهو كذاب!

قالت بهيجة: وتحفظ ذاكرتي، أن جمال عبد الناصر، قال عام ١٩٦٣م، في خطاب جماهيري مذاع، إن الطريق إلى فلسطين ليست مفروشة بالورود!

- حضرتُ أنا هذا الخطاب، كان ذلك في مدينة أسيوط، في صعيد مصر!
- زدنا يا أبا ماس!
- منذئذ، غادرتني سذاجتي واستيقظ وعيي!
- كان جمال عبد الناصر منوما مغناطيسيا بارعا!
- وكنا واهمين مخمورين؛ الوهم دين مقدس يا أهلي الأكرمين!
- قال فرويد: عندما يصيب الوهم فردا؛ يصير مريضا نفسيا؛ وعندما يصيب امة، يصير دينا وحياة!

كنتُ في الصف الأول من آلاف الحاضرين، يحيطني شابات وشباب فلسطينيون؛ كنت أرفع علم فلسطين؛ اندفع رجال المن المصريين نحوى وطالبوني بخفض العلم؛ رفضت فأعادوا طلبهم فأعدت رفضي فيئسوا وتركوني وشأني... ثم بدأ خطاب الزعيم العربي الكبير... تحدث عن قضيتي الوطنية، كما كان شأنه في كل خطبه، من قبل... كان الإعلام المصري والقومي يزرع في وجداناتنا، أن تحرير فلسطين حلم جاهز للتحقيق وينتظر اتحاذ قرار! كانت خطابات عبد الناصر تلي خطابا حماسيا ناريا يلقيه قائد الجيش المصري حينئذ المشير عبد الحكيم عامر، فنسمعه فنعدّ حقائبنا استعدادا للعودة إلى ديارنا التي طردنا منها؛ كنا نكرر ذلك كلما سمعنا خطابا للمشير وبعده خطابا للزعيم الساحر!

قالت بهيجة: كانت قضية فلسطين سلعة في مزاد القادة العرب!

قالت الحمارة: ولا تزال سلعة في سوق المتاجرين المتآمرين المخادعين من الفلسطينيين والعرب وحكام العالم الفاسقين المجرمين الظلاميين!

قالت أمّ ماس: الرئيس السوري أمين الحافظ أعلن من دمشق أن تحرير فلسطين يستغرق أربعة وعشرين ساعة أو أقل!

كان بيني وبين جمال عبد الناصر بضعة أمتار... كان وراء المنصة، وكنت أمامه... حدّثت نفسي: منذ الآن، لن أؤمن بك! حدّقت العيون الطفلية الربعة البريئة في عينيّ وصاحا معا: أكمل!

- كنت ثملا بكأس ظننته حلما فكان خواءا؛ كان ثملي سرابا أو غيابا!
- كل وعود الساسة خواء وأكاذيب!
- أجل يا حمارة؛ أأنت من لهب!
- ستعرفني في وقت آت؛ أما الآن فأكمل قصتك مع جمال عبد الناصر!
- تحدث كعادته عن قصية فلسطين، لكنه لم يكن بحماسه المعهود منه... شعرت بخيبة الأمل، أنا زحفت إلى ساحة الاستاد الرياضي في أسيوط، مع عشرات الآلاف من الموطنين، لنتلقى من صوت جمال عبد الناصر شحنة أمل جديدة! كان تركيز المورفين في حقنة هذه المرة منخفضا...! استفز هذا الفتور مشاعري الوطنية المتقدة... هتفت: عائدون عائدون، وإسرائيل لم تكون! ردد اخوتي الفلسطينيين الهتاف ورائي، رفعت العلم الفلسطيني إلى أقصى ما أطيق؛ اتجه جمال عبد الناصر نحوي بتجهم وقال: الطريق إلى فلسطين ليست مفروشة بالورود! صفقت أيادي عشرات الألوف وهتفت للزعيم...!
- أيادي عشرات الألوف ومئات الألوف وملايين الأيادي تصفق لكل زعيم وتهتف له!
- أجل يا ماريا أجل! يتواصل ذلك حتى يموت الزعيم أو يُسقط بالقوة فيتحطم صنمه، لينتصب صنم جديد!
- خطاب جمال عبد الناصر سيق تجديد صنميته عبر انتخابات رئاسية لم ينافسه فيها أحد!
- أُعلن بعدها أنه فار فيها بنسبة خمس تسعات!
- ماذا تقصدي يا بهيجة؟!
- أقصد القول أن نظام جمال عبد الناصر أعلن فوز المرشح الوحيد لمنصب رئيس الجمهورية العربية المتحدة كما كانت تسمى الدولة المصرية حينذاك، بنسبة مئوية وصلت إلى ٩٩,٩٩٩% من مجموع الناخبين الذين بلغت نسبتهم ٩٩,٩٩٩% ايضا، من إجمالي المواطنين أصحاب الحق في الانتخاب!
- تباهي مواطن أمريكي، بتقدم بلادة العلمي، واستشهد على ذلك، بأن نتائج انتخابات رئيس الجمهورية، تصبح معروفة بعد ساعتين فقط من إجرائها؛

فرد عليه عربي، ليدحض حجته، فقال: نحن متفوقون عليكم علميا، فعندنا، تكون نتيجة انتخاب الرئيس معروفة قبل إجرائها! هاهاهاها...

- شر البلية ما يُضحك!
- إليكم التالي: علمتُ من مسئول رفيع المستوى، أن الرئيس المصري جمال عبد الناصر، تلقى، في وقت سابق على خطابه، رسالة من الرئيس الأمريكي حينئذ، جون كينيدي، تقول: لقد حان الوقت يا مستر ناصر على حل مشكلة الشعب الفلسطيني! فرد ناصر: لست مخولا بالحديث نيابة عن الشعب الفلسطيني!
- في العام التالي، وبتدبير من جمال عبد الناصر، وبموافقة من جامعة الدول العربية، تم تكليف أحمد الشقيري بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية!
- اغتيل جون كينيدي في مدينة دالاس بالولايات المتحدة الأمريكية، بعد خطاب جمال عبد الناصر، وقبل إعلان قيام منظمة التحرير الفلسطينية!
- وسيتواصل الفتور العربي تجاه القضية الفلسطينية وسيتطور إلى توقيع معاهدة سلام في واشنطن، بين النظام السياسي المصري بزعامة خلف جمال عبد الناصر، ودولة إسرائيل؛ وستهاجم الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية، وسيتم فصل مصر من الجامعة العربية التي ستنقل إلى تونس؛ وستعترف منظمة التحرير الفلسطينية بدولة إسرائيل وبحقها في الوجود في الأراضي التي قامت فيها عام ١٩٤٨م... ولن تعترف إسرائيل بحق الفلسطينيين بإقامة دولة لهم مستقلة وذات سيادة كاملة في مناطق سلطة فلسطينية قادمة ضمن حدود الضفة الغربية وقطاع غزة... وسينقسم الفلسطينيون على أنفسهم وستسيل دماء لهم بأياديهم وسيتنازعون على كراسي الحكم وستعترف دول عربية كثيرة بإسرائيل... ستتبدل أشياء كثيرة وتسقط شعارات كلها وهمية واصحابها كاذبون... وستزيد قوة إسرائيل وتحصل على اعتراف بيهوديتها وبالقدس الموحدة عاصمة لها... سيعض الفلسطينيون أصابع الندم وسيتدحرجون من خسارة إلى أخرى... ما أغباهم؛ سلموا وطنهم لمغتصبه!
- هكذا يا حمارة سيكون الاعتراف الفلسطيني بحق دولة إسرائيل الوجودي مجانيا!
- سيقبض سدنة منظمة التحرير الفلسطينية رشوة مقابل ذلك! ستتغير المسميات من قائد ثورة إلى فخامة الرئيس، ومن ثائر إلى وزير موال لقيادته ومربوط براتب شهري مهدد بفقدانه إذا أخل بالالتزام بشروط معاهدة التنازل الفلسطيني عن وطن هو حق لهم منذ آلاف السنين!

- ولمن؟! لمهاجرين من شتى أنحاء الأرض، ولدوا لآباء وأجداد من آباء وأجداد من آباء وأجداد حتى إلى ما قبل النبي إبراهيم، لم يرتبطوا بعلاقة وطنية مع ثرى وسماء فلسطين!
- أجل يا ماريا! والنبي إبراهيم وفق قول التوراة وافد إلى أرض فلسطين!
- كان هنا في زمن غابر يهود وأقاموا لهم دولة في مناطق من أرض فلسطين؛ لكن التاريخ أكل دولتهم منذ زمن قديم!
- من حق يهود فلسطين القدامى أن يقيموا في فلسطين، ومع مواطنيها العرب أصحاب الحق الوطني التاريخي فيها!
- ومن حق سواهم من اليهود أن يحافظوا على ارتباطهم الروحي بفلسطين!
- من حق كل يهودي ومسلم ومسيحي في ألأرض أن يحافظ على ارتباطه الروحي بفلسطين!
- فلسطين وطن للروح والحب والعدل والسلام والإنسان الإنسان!
- القدس عاصمة وطن الروح والحب والعدل والسلام والإنسان الإنسان!
- وإليها، أُسْرِيَ بالنبي محمد من مكة، وأُعْرِج به منها إلى تحت عرش الله ربه الأعلى!
- حينذاك انفتح الإنسان على مطلق الوجود!
- حينذاك فرض الله على المسلمين خمسين صلاة في اليوم فاستكثرها نبي اليهود موسى فأشار على محمد أن يراجع ربه مرة بعد مرة حتى نزلت من خمسين إلى خمسة!
- موسى ومحمد إخوة في الله!
- وعيسى أخوهم أيضا!
- فلمَ لا يكون أتباعهم إخوة في الله أيضا!
- الله حب!
- الحب قلوب وعقول بيضاء وعدل وسلام!
- المجد لراية الحب البيضاء!
- المجد للحرية في النور!
- المجد... المجد... المجد...!
- العار لكل عدون!
- المجد لكرامة الإنسان!
- المجد لكِ يا بهجة السلام!
- لبيك يا راية الحب البيضاء... لبيك!
- من أنتِ؟!
- جوليا؛ أنتم ضيوفي!

كنا نسير بدون اختيار، وظلت راية الحب البيضاء تسير خفاقة أمامنا؛ كانت بغير حامل يحملها، وكانت الحمارة وطفلاها على ظهرها تسبقنا، وكنا نقتفي الراية فنتجه لليمن مرة، ولليسار أخرى، وأوغل الليل ولكنه ظل منيرا... ها موج البحر يهدر؛ نحن قريبون منه إذن! صاح الطفلان: للغرب يا أهنا! قالت بهيجة: ها نحن والليل والبحر والقمر... قالت ماريا: أهل البحر لا ينامون؛ قالت الحمارة بنشوة: والجن أيضا لا ينامون!

- والحمير يا حمارة؟!
- لا أعرف؛ أنا لست منهم!

قالت جوليا: الناس ينامون أوقاتِهم كلها؛ ردت ماريا: إلا المحبين! قالت بهيجة: أجل؛ المحبون لا تنام قلوبهم؛ قالت جوليا: إذا ابتهجوا بحب الحرية والحياة؛ قفز الطفلان في البحر وصاحا: بهجة الحرية حياة! قالت جوليا: بهجة الحرية دين!

غابت جوليا بعض الوقت، وعادت تحمل لنا ماءا وطعاما وفاكهة وقهوة وشايا...

- هيا أيها الأكرمون!

كنا عطشى وجوعى؛ لبينا دعوة جوليا وشربنا قليلا ثم تحلقنا حول الطعام؛ لكن الحمارة تركتنا وانضمت إلى طفليها اللاهيين مع تلاطم الموج مع رمال الشاطئ!

- هيا أيتها الصديقة!
- اشكرك يا جوليا؛ أنا لا اشرب ولا آكل!
- هيا أيها الطفلان العذبان!
- نشكرك يا جوليا؛ اللهو ماؤنا وطعامنا!
- صدقتما؛ اللهو حياة!

أكلنا خضارا ولحما وفاكهة حتى امتلأنا... تمددنا على الثرى الرطب؛ هواء البحر الربيعي منوّم طبيعي ليس له آثار جانبية سلبية!

٦

صحوت على نحيب مكتوم؛ جوليا تجلس القرفصاء عند رأسي وأسنانها تصطك وفرائصها ترتعد ودموعها تنهمر!

- فداك عمري أيتها الكريمة الطاهرة المباركة المعطرَة!

ألقت رأسها على صدري وأجهشت وقالت بلسان نصف مربوط: عذراء ترسف في أغلال ذئاب كشرت أنيابها! نهضت وسالتها بحنق تتطاير منه أسنة اللهب : أين؟! أشارت بإصبع يرتجف نحو الجنوب! صِحْت: أنا ذاهب إلى هناك! رفست الحمارة الهواء وقالت: عهدتك حكيما!

- ماذا تعنين؟!
- أنتَ لم تزل موسى سيناء ومسيح طبريا ومحمد مكة!
- لكنها على شفا حفرة من الهلاك!
- هدئ من روعك!
- دمي يغلي!
- هدئ من روعك وقرْ عينا؛ لن يطالها السوء!
- راية الحب البيضاء خفاقة هناك فوق حفرة رُدِمتْ فيها؛ فلا تطالها حجارة الرجم ولا تدنو منها! واغمضْ عينيك وافتحهما دون تأخير، وستكون سارّة بين يديك جذلى سالمة هانئة آمنة مطمئنة!

حضنتني ذراعا سارّة وحصنتها وحضنتنا ماريا وبهيجة وجوليا معا... وذرفنا جميعنا دموع الفرح! كانت الحمارة تحمل طفلاها قد تلاشت في أفق السماء طرفة عين قبل أن تعود ومعها سارّة الغيداء العارية الفاتنة! ، سألت جوليا بدهشة: كيف تم ذلك؟! ردت بهيجة: قال الذي عنده علم من الكتاب لسليمان فلسطين، أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك! قلنا معا: هذا من فضل الحب!

- من أي الأجناس أنتِ أيتها الحمارة؟!
- من ماء روح الربة العليمة القديرة الرحيمة الرحمانة!
- سبحانك في علائك وتباركت وتمجدت أعمالك!
- تعالَيْ إلى يمين قلبي يا جوليا وتعاليْ إلى يساره أيتها القديسة الطاهرة يا سارّة يا أم إسحاق بن أبينا إبراهيم!
- سارّة أنجبت إسحاق من إبراهيم هنا في فلسطين!
- والسيدة هاجر المصرية أنجبت إسماعيل هنا في فلسطين!

- هنا وطن الأنبياء!
- هنا يقوم مجد الإنسان الإنسان!
- هنا الأمل!
- هنا يقوم وطن الألوان والملل والعدل والرخاء والرفاه والنعيم والوئام وبهجة الحرية والسلام!
- هنا نور وشوق وأزهار ولهو وصلوات وانتشاء وارتقاء ونزول وعَوْد واستمتاع مشاع بكل ما طاب ولذّ ونفع ونما واتسع وانتشر!
- هنا وطن الحب واللبن والعسل والأنهار والحور العين من إناث وذكور والخلود المقيم في جنات الفردوس لكل من هب ودب تحت السماء السابعة!
- ولكن؛ أمن العدل أن يستوي الطالح مع الصالح؟!
- تحت راية الحب البيضاء يصلح الطالح يا جوليا يا بهية الطلعة يا بديعة الجمال!

قلنا معنا وبلسان قلب واحد متعدد: آمين... آمين! هيا ننطلق! قالت جوليا: لا تنسوا؛ أنتم ضيوفي!

سرنا على ثرى عناق البر والعلا والبحر؛ من أين أنت يا جوليا؟

- من اقصى شمال فلسطين، من نقطة تجمعني أنا وأهلي في سوريا ولبنان!
- وأنتِ يا سارّة؟
- من أقصى جنوب فلسطين، من نقطة تجمعني أنا وأهلي في الأردن ومصر والمملكة العربية السعودية!
- فلسطين ملتقى الأرض والسماء والعرب والعالمين والعاشقين!
- ستكون فلسطين وطنا مفتوحا للأحرار المحبين!
- سنحررها من المعتدين المنغلقين الغاصبين!
- سنفتحها لكل إنسان إنسان!
- وطنا لراية الحب البيضاء ستكون فلسطين!

صمَّتُ وأطرقتُ فقالت بهيجة: ما بك؟!

- كان خليفة النبي محمد الثاني عمر بن الخطاب، إماما للعدل لم يتكرر مثاله في التاريخ، ومع ذلك فأنا أتوقف متسائلا إزاء موقفه من الإماء ومن يهود فلسطين الأقدمين؛ فهل لديك ما يعينني؟!

قالت جوليا: كان يضرب الأمَة بعصاه إذا تشبهت بالحرة!

انقبضت ملامح سحنة سارّة وانطفأ وهْج بشاشتها واضطربت وقالت بقلق: أمنْ حق السلطان أن لا يساوي بين النساء ويضرب امرأة؟!

نهقت الحمارة ورفست الهواء! وعدتُ أقلِّب الرأي في موقف عمر من يهود فلسطين القدامى... وتساءلتُ بصوت مسموع: هل كانوا غرباء وغزاة معتدين غاصبين كما هو شأن المهاجرين من الإسرائيليين المعاصرين؟!

قالت بهيجة: اذا احتكمنا للتوراة فهم أبناء لإبراهيم الذي وفد إلى أرض فلسطين هاربا من بطش أهله به في بلاد العراق القديمة!

قالت جوليا: آوى إلى أرض السلام!

قالت سارّة: منذ البدء، شاء الله أن تكون فلسطين وطنا للحب والسلام! أما كان عيسى الفلسطيني اليهودي نبي الحب والسلام؟!

قالت ماريا: روى إنجيل متّى أن عيسى قال: لا تظنوا أني جئت لأُلقِيَ سلاما على الأرض، ما جئت لأُلقِيَ سلاما بل سيفا!

قالت سارّة: في موعظة الجبل، قال عيسى: طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يُدعون! وإخوتنا المسيحيون يدعون السيد عيسى المسيح: رئيس السلام!

تساءلت جوليا: لماذا رفض المسيح علاج ابنة الكنعانية وقال: لم أُرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة! وقال لها: ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب! فقالت المرأة: نعم يا سيد، والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها!

هزت الحمارة راسها وقالت: نبيٌ يصف غير اليهود كلابا؟!

قالت سارة: ردّ المسيح على أمّ البنت المجنونة فقال: عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريدين!

قالت جوليا: إيمان الأم أشفى ابنتها!

قالت هابيلة: الإيمان شفاء لما في الصدور والأجسام!

قال هابيل: فلسطين وطن الإيمان!

قالت جوليا: راية الحب البيضاء راية الشفاء لما في الصدور وأجسام الناس والمجتمعات!

صرخت الحمارة: هل منكم من يشرح لي، لماذا ذبح النبي محمد كل من نبتت عانته من ذكور يهود بني قريظة؟!

نقضوا عهدهم معه واختاروا معاداته وانحازوا إلى محاربيه مشركي مكة فعاقبهم بشريعتهم يا حمارة!

قالت سارّة: منعهم عمر من السكن في بيت المقدس ولم يمنحهم الأمن في العهد الذي أخذه على نفسه حين استلم مفاتيحها من حكامها الروم المهزومين، ولم يقتلهم في باقي فلسطين ولم يطردهم منها!

قالت بهيجة: سأل أمير المسلمين عن الصخرة المقدسة التي صعد منها النبي محمد لربه، والتي كانت قبلة لليهود وللمسلمين قبل تحولهم إلى الكعبة، فدلّه عليها اليهودي المسلم كعب الأحبار عبد الله بن سلّام، وكانت مكب قمامة فأزال عنها عمر والمسلمون بعض القمامة حتى ظهر الباب فدخلوا إلى الساحة وصلى عمر في محراب داود ركعتين تحية المسجد، كان الوقت ليلا... وداود ملك إسرائيل القديم ونبي لدى المسلمين، ثم عاد عمر ليكمل هو وصحابته تنظيف الصخرة المقدسة التي أشار إليها القرآن في أول سورة الإسراء... الصخرة عند المسلمين هي المسجد الأقصى...

تلت جوليا: سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله...

قالت سارّة: فلسطين أرض باركها الله رب الحب والعالمين!

استأنفت بهيجة كلامها: وقيل إن صلب المسيح أو شبيهه وقع فوق الصخرة المقدسة، وكانت تسمى بيت المقدس، حتى سماها القرآنُ المسجدَ الأقصى... وكانت داخل سور يحيط بساحة واسعة، وأراد عمر أن يبني مسجدا في الساحة، فاستشار كعبًا: أين يضع المسجد؟ فأشار عليه بأن يجعله وراء الصخرة، والقدس شمال مكة، فلو بنى المسجد خلف الصخرة، فإن من يصلي فيه من المسلمين، سيستقبل الصخرة والكعبة÷ انتبه عمر إلى ذلك، وشعر أن ابن كعب يرمي إلى أن يجعل قبلة اليهود والمسلمين واحدة، إلى الصخرة، فضرب إمام المسلمين عمرُ في صدر اليهودي القديم، وقال: يا ابن أم كعب ضارعت اليهود، وأمر الخليفة ببناء المسجد في مُقَدِّم بيت المقدس، فتكون قبلة اليهود خلف المصلي المسلم!

- هل كان ابن كعب سيء النية أم حسنها؟!
- عمرُ قدّر أنها سوء نية!
- هل كان ابن كعب يستبق الزمان ويؤسس لوطن في بيت المقدس وأكنافه، يتعايش فيه الفلسطيني المسلم مع الفلسطيني اليهودي؟!

- أمر عيسى النبي اليهودي حواريه قبل صعوده دعوة الأمم في فلسطين وحولها إلى دينه!
- النبوة دعوة توحيد لا تفريق!
- موسى نبي اليهودية المؤسس دعا فرعون للإيمان بربه!
- لم يتفق الباحثون على أن موسى كان إسرائيليا؛ قيل إنه كان مصريا!
- المصريون عرب والإسرائيليون القدماء عرب أيضا!
- حقق النبي محمد الوحدة العربية!
- وسعى بعدها لتحقيق الوحدة الإنسانية!
- راية الحب البيضاء توحد الناس من كل لون وملّة!
- الحرية من الجهل توحد الناس!
- تحيا فلسطين وطنا للحرية... تحيا... تحيا!
- العنصرية جهل بغيض وقاتل!
- عندما تتحرر فلسطين من العنصرية، ينبثق النور منها وترفل في الوئام والسلام وتتحرر الحياة فيها من الشقاء والموت الزؤام!
- الله واحد والسماء واحدة والأرض واحدة والهواء واحد والماء واحدة والحياة حق للجميع ولكن الناس يجهلون ويتفرقون ويفسقون ويعتدون ويظلمون ويذبحون!
- يا ماريا يا حبي يا ماريا... يا بهيجة يا حبي يا بهيجة... يا جوليا يا جبي يا جوليا... يا سارّة يا حبي يا سارّة... يا حبي يا حبي يا هابيلة يا هابيل يا أمهما؛ كان النبي الأعظم ابراهيم أبو اسحاق وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمد وأبوكم وأبي ، يتخذ من بيت المقدس قبلة له!
- في بيت المقدس بدأ الإسلام بصلاة عمر بن الخطاب في محراب داود ملك اليهود، ركعتين تحية المسجد الذي اسرى الله بنبي المسلمين إليه حين اشتد كربه، وكان الله قبلة الحاكم العادل خليفة النبي محمد!
- وقبل عمر، صلى محمد إماما بالأنبياء في المسجد الأقصى واستقبل المصلون اللهَ بقلوبهم ثم ارتقى إمام الصلاة إلى ربه الأعلى واشتد إيمانه وعزمه واشتدت قوة روحه وبدنه ثم نزل وعاد إلى مكة وواصل دعوته وصلى فيها ومعه المؤمنون به نحو بيت المقدس وصبر ثم انتصر!
- وعلى هدى الأب القديم إبراهيم اتخذ النبي محمد صخرة بيت المقدس قبلة له حتى تحول عنها بعد سنة من هجرته إلى يثرب!

- كان في مكة يستقبل إذا صلى كعبة العرب وقبلة اليهود معا!
- كان محمد نبيّ توحيد: رب واحد في السماء، ومؤمنون به موحدون في الأرض!
- محمد نبي يثرب لا يطابق محمدا نبي مكة!
- كان في يثرب سياسيا عظيما كما كان نبيا عظيما أيضا!
- رمى إلى كسب ولاء يهود يثرب له، لكنهم نقضوا عهدهم معه!
- ألذلك ترك قبلته الأولى؟!
- الله أعلم بما تضمر القلوب!
- ملك سلطانا أهَّله للاستقلال الروحي عن الدين الأسبق نشوءا، بين الأديان الإبراهيمية!
- قلّب وجهه في السماء فأمره ربه أن يترك قبلة اليهود ويتجه إلى بيت بناه إبراهيم وجدّ العرب إسماعيل بن هاجر المصرية في مسقط رأسه مكة!
- سميّتك يا سارّة طردت هاجر وابنها منه إسماعيل! كان الطفلان الإخوان يتمازحان، وكان إسماعيل أكبر من إسحاق، ووسوس الشيطان لسارّة أن اسماعيل يسخر من ابنها ويضطهده، فاشتط غيظها فأفسد قلبها وعقلها فأمرت إبراهيم: أطرد هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق!
- يقول العهد الجديد من كتاب اليهود والمسيحيين المقدس: فقبح الكلام جدًا في عيني إبراهيم بسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها. لأنه بإسحق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضًا سأجعله أمة لأنه نسلك!
- امتثل إبراهيم وأخذ هاجر وابنها إلى صحراء قاحلة مجدبة تحت شمس حارقة لا ظل فيها ولا حياة ولا معين ولا ماء ولا مأكل ولا أمانا!
- ثم عاد إبراهيم ليذبح إسماعيل امتثالا لرؤيا منام فتلّ ابنه للجبين ففداه الله بكبش عظيم!
- أهانَ على أب نبي شيخ أن يُقدم على ذبح طفله؟!
- وأتساءل يا سارّة: ماذا كان موقف هاجر؟!
- ولكن الفرقاء من أتباع الديانات اختلفوا حول الذبيح: هل هو إسماعيل أم إسحاق؟!
- لماذا يختلف أهل الديانات ورب الديانات واحد يا جوليا؟!
- لم تخفق راية الحب البيضاء في قلوب عقولهم!

- أجل يا بهيجة؛ وعجوز طاعنة أظنها كانت خرِفة تفرق بين الأخوين وتزرع بينهما شقاقا مريرا جائرا ممتدا ها نحن نكتوي بناره هنا في فلسطين!
- أجل يا ماريا؛ فلماذا يرضى الرب بفساد ينهش الحياة ويحيلها جهنما حطبها الناس والحجارة؟!
- ابتلاء يا أيها المارقون ابتلاء... هيا انهقوا معي، فإني أرى الشياطين تصخب حولنا وترقص... هاهاها...!

أين انتهى بنا المسير يا جوليا؟

- نحن على مشارف يافا... أملك هنا بيتا، وستنزلون فيه يا أهلي سهلا وضيوفا مكرمين في قلبي!
- كانت الرحلة هينة يسيرة منذ صاحبتنا جوليا وسارّة!
- وتُطوى الأرض لراية الحب البيضاء!

جسدتُ على ثرى شاطئ يافا... كم اشتقتُ إليك يا عروس البحر يا مدينتي!

- بعد هزيمتنا في حرب يونيو عام ١٩٦٧م، زالت الأسيجة الشائكة الملغومة التي زرعها المغتصبون بيننا وبين أرض وطننا!
- بات في استطاعة الناس المقيمين على جانبي الخطوط السوداء، أن يتجولوا بحرية وأمن وفي كل وقت في جميع ربوع فلسطين!
- يظل الحال كذلك حتى تعود الشياطين فتعود الخطوط السوداء من جديد!
- ثم ماذا بعد يا حمارة؟!
- انهض الآن أنت وجوليا وسارة وامتطوا ظهري وسأمخر عباب البحر وأغوص في نور الحياة ثم أعود بكم خمسة!

دقت الطبول وغنت ماريا وبهيجة ورقصنا والطفلان بيننا والحمارة وعرّت عروساي جوليا وسارّة صدريهما وزغردتا وصاح البحر فقال: ها أنتم الآن اثنا عشر كوكبا وراية الحب البيضاء ترعاكم وتزيدكم!

٧

سرنا على امتداد شاطئ يافا، مضافة جوليا عند نقطة التقاء مدينة يافا مع مستوطنة تل أبيب مه شاطئ البحر الأبيض المتوسط... راية الحب البيضاء بقلبها البلّوري النابض، ترفرف فوق بوابة المضافة الواسعة المشرعة، وتنبعث في سمائها ألحان ناعمة تتراقص نغماتها مع نسائم تداعب العصافير وأغصان الشجر... موسيقى وزقزقة وحفيف وخرير وهدير وابتسامات وهناء... جلسنا كل على أرجوحة: أنا وماريا وجنينها وبهيجة وجنينيها وجوليا وجنينها وسارّة وجنينها والحمارة وهابيلة وهابيل!

منذ الآن، أنتِ الناطقة الإعلامية باسم راية الحب البيضاء يا جوليا... قبّلت جوليا جبيني وتلقت تهنئة حارة من كل منا، وتقدمت الحمارة منها ورفعت رأسها وقالت: لن أدخر جهدا أنا وقبيلي من ورائي لتقديم العون لك ولراية الحب البيضاء! وقالت ماريا: كلنا معك يا جوليا، وانحدرت دمعتان من عينيّ سارّة وحضنت جوليا وحضنتنا كلنا فردا فردا... وتمتمت: أشكرك يا رب الحب أن أنعمت عليّ بالأمن بعد الخوف والسلام بعد النار والحياة بدل الموت والعزة بعد الذل والمنعة بعد الضياع والأهل بعد الهجر والنصر بعد الخذلان والنور بعد الظلمة والبهجة بعد الكآبة والحرية بعد الاستعباد والرواء بعد الظمأ والشبع بعد الجوع والصحة بعد السقم والاستمتاع وجنيني!

تحمل جوليا بطاقة هوية إسرائيلية تخولها حرية العمل الدعوي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي! قالت لسارّة: ستكوني ذراعي الأيمن! سارّة تحمل بطاقة هوية إسرائيلية أيضا! أنا وبهيجة بدون بطاقات هوية، وماريا تحمل هوية إسرائيلية ملغاة، والحمارة والطفلان لا حاجة بهم إلى اعتراف من أية سلطة أرضية، وتحمل الأجنة الأربعة شهادات ميلاد رحمية! أنا وماريا وبهيجة والحمارة والطفلان فارون من مطاردة مشتركة بين سلطة الأمن الإسرائيلي غاصبة وطننا، وسلطة تغتصب سلطة الله وحقنا في الحرية وتتهمنا بالتجديف والفسوق والزندقة!

في اليوم التالي، نشرت وسائل الإعلام الإسرائيلي إعلانا مدفوع الثمن مذيلا بتوقيع جوليا سارّة، يدعو إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نؤمن إلا بالله ربّا للناس أجمعين واحدا لا شريك له وبحق الإنسان في السلام والعدل والحرية المبتهجة والاستمتاع والكرامة والحب في النور!

وتحت شمس الضحى الربيعي وفي أريج أزهار يعبق بها فناء جوليا الفسيح البهيج، وأنا مخمور برائحة أنثوية فائرة غامرة فاجرة هادرة، التفّت نسائي الأربعة حولي باسمات المحيا عاريات النهود الشامخاتِ على صدورهن وفي قلبي وفي قلوبهن تنبض أرحامهن بأبنائي... تمايلين واستدرن وأطلقن تأوهات العاشقات وأرخين جفونهن وشفاههن وشعورهن ومددن أذرعهن وأملن خصورهن وثنين جذوعهن وهززن أردافهن وقلن معا بغنج سافر ساحر: هيت لك ولبيك يا حب لبيك... اشتعل الجمر في رأسي وتدفق الدم وانتصب خمري وصعدتُ السلّم قفزا ولحقتني جوليا جذلى وارتمينا تحت السماء المفتوحة بنا علينا وارتقينا مجدولَين بروح واحدة إلى فوقنا! وارتمت ماريا بيننا وارتقينا نحن الثلاثة ثم ارتقينا أنا وبهيجة وأنا وسارّة معنا ماريا وجوليا أيضا... وأخذنا النوم ونحن لُحمة متقدة متعانقة!

- نبني معا يا خليلاتي ونرتقي!
- في الصحو والنوم معا يا أبانا الذي معنا!
- في السراء والضراء معا يا حبيباتي وأمهات أبنائيَ وجدات أحفادي!
- وأنا وطفلاي وقبيلي معكم!

جوليا عربية درزية، ويقع بيتها وسط بيوت عربية وإسرائيلية، ويجاورها من الجنوب عجوز أصلع الرأس حليق الشارب، ذو لحية ملطخة بصبغة حناء، تترنح فوق أنفاس مخنوقة؛ ومن الشِمال شاب أعزب طويل القامة محني الظهر أوروبي السحنة، ذو ضفائر تتدلى أمام أذنيه الكبيرتين المفلطحتين العجفاوين... وكان الاثنان واقفين على سطحي منزليهما، يتلصصان علينا ونحن نؤدي صلاة الحب أنا ونسوتي الأربعة!

دق جرس الباب الخارجي... هبطت جوليا وعي لا تزال حرة من الثياب، وقفزت الحمارة وطفلاها، من فوق إلى أرض الشارع المطل عليه بيت ضيافتنا، وسمعتُ جوليا تصرخ في وجهي الجارين: انصرفا أيها الوقحان القبيحان! حاولا جذبها بينهما وحصراها بينهما واحد من الأمام والآخر من الخلف؛ نهقت الحمارة وقفز الطفلان فوق أكتافهما وعصرا رأسيهما بأكفهما عصرا ضاغطا عنيفا وعضّا آذانهما فصرخا وانحلت قبضة ذرعانهما حول جوليا ثم رفستهما الحمارة بأربعتها في عجيزتيهما وخصيتهما...سقط الباغيان على وجهيهما يئنان ويبكيان، وسحبهما الطفلان كلا إلى عتبة منزله...

- ماذا يريدان؟!
- راوداني عن نفسي!
- رجلا دين عاهران ملعونان!

- منافقان هزيلان!
- تاجرا دين رخيصان!
- رفقا خليلات قلبي، رفقا... ارفعي يا حمارة راية الحب البيضاء فوق منزليهما...
- الحق إني عطفتُ عليهما، وسالت دموعي من أجلهما، وتمتمت في سري: لا ينبغي لي أن أكسر خاطريهما؛ لكن الطفلان انتزعاني من مشاعري قبل أن أطفئ نارا كانت تتأجج حولي وتحرق ضاغطي بدني بينهما!
- قلبك ينبوع حنان لا ينضب يا الحبيبة الأثيرة يا جوليا...
- الحب حنان يتدفق!
- خشينا أنا وطفلاي أن يجهضا حملك بهمجيتهما!
- محرومان!
- بائسان!
- مقهوران!
- معذوران!
- الاستمتاع حق مشروع مشاع!
- أعطى الله كلا منا آلة ليستخدمها لا ليقتلها!
- اخَوانا هما منا ولنا!
- نحن محبون ولسنا معذبين!
- ونبشر العالمين بالحياة في نعيم!
- لا بالموت والجحيم!
- افعلي ما أمرتك به يا أم هابيلة وهابيل!

في المساء، حل الجاران في فضاء جوليا، ضيفين حليقين وسيمين رقيقين مهذبين باسمي المحيا! تسامرنا بعض الوقت وقدمت جوليا لهما الماء الزلال والشاي بالنعناع وأطايب الفاكهة والمكسرات والقهوة بحب الهال، وأهدتهما عطرا مستخلصا من أزهار حديقتها، ثم استاذنا للانصراف وانحنيا وقبّلا ظهور أكفّ النساء ووجنات الطفلين وداعبت أناملهما شعر عنق الحمارة وربّتا على ظهرها وقبّلاه، وعانقاني بحرارة، وانسحبا بوقار لم يديرا لنا ظهريهما ولوّحا لنا بأياديهم الأربعة ولوحنا لهما بأيادينا وهزت الحمارة ذيلها، حتى غابا عن نواظرنا... وكان الجيران من كل نحو في شرفاتهم وفوق سطوح منازلهم، يشاهدوننا ويبتسمون ويحنون رؤوسهم ويطيّرون القبلات ويرمون الورود والشوكولاتة حولنا...

- كسبنا جولتنا الأولى يا جوليا...
- الحب هو الفائز دائما...

- المجد للحب...
- المجد للمحبين العاملين...
- المجد للحكمة الواعية المحبة...
- المجد لراية الحب البيضاء وقلبها البلوري النابض بالحياة...
- المجد للإنسان هنا والآن...
- المجد للحرية المبتهجة بالسلام...
- المجد لنا في علوّنا ونقاء قلوبنا وصفاء نفوسنا ونور عقولنا وطهارة أيادينا,,,
- المجد للحنان يا فضاء الحنان والعطر الفوّاح يا البريئة الحرة الشريفة الكريمة المليكة فوق عرشنا الواسع الشاهق يا حبنا الأبيض الساطع الخالد يا جوليا...

قال هابيل: سيغدو بيت جوليا منتدى يتردد إليه أهل يافا وتل أبيب، أطفالا ونساء ورجالا ومتدينين وملحدين وعلمانيين ساسة واقتصاديين وصحافيين وكتّابا وأدباءأ وفنانين وأكاديميين وناشطين مدنيين بيضا وسمرا وسودا محبين مبتهجين متفائلين وعابسين بائسين متشائمين ميسورين ومعوزين راضين وساخطين ومقيمين وعابرين... أبواب منتدى جوليا مفتوحة لا تغلق... وآفاقها مفتوحة لا حدود لها...

- هنا مملكة الحرية...
- هنا مملكة الإنسان...

قالت هابيلة: ثم سيتسع المدى، ويصير منتدى جوليا منارا يأتيه الناس من كل فلسطين...

- فلسطين وطن الإنسان والحرية...

قالت الحمارة: وسوف يتسع ويتسع، وسيكون قبلة الناس أجمعين...

- فلسطين وطن حر مفتوح للناس أجمعين...

بعد منتصف الليل، كنت استلقي على أرجوحتي بين أزهار جوليا، دخلت فتاة سمراء البشرة، مجعدة الشعر فطساء الأنف نحيفة الجسم خلابة الرائحة... كانت تترنح... ارتمت على ارجوحة قريبة من أرجوحتي، مدت ذراعها نحوي، لمستُ ظهر كفها، ناعم كالحرير... غابت في نوم عميق حتى أيقظتها بلابل الصباح، انتفضت وتساءلت بارتباك: أين أنا؟!

- من أين أنتِ أيتها الكريمة؟!

- مهاجرة من أثيوبيا!
- يهودية!
- ادعيتُ أني ابنة يهودية!
- ما اسمك؟
- كوثر!
- مسلمة؟!
- أبي مسلم وأمي مسيحية!
- وأنت؟!
- لا اشغل نفسي بالأمر!

أقبلت جوليا مبتسمة المحيا وقالت مازحة: إنا أعطيناك الكوثر؛ أضافت: اصعدا إلى المرقاة، سأعد لكما إفطاركما أيها العريسان! شفتا كوثر ممتلئتان ومكورتان وبارزتان؛ إليتاها ممتلئتان ومكورتان وبارزتان أيضا... خلعت ملابسها... سبحانك ربي ما أجمل ما صنعت؛ تمثال من شوكولاتة الكاكاو يتماوج بين أربعتي، لا يذوب تحت لساني وأنا أذوب وأسْكر؛ نهض ما تبقى مني وركع وسجد وصلى ورتّل: ربتي إني عرفتك في جمال ما أبدعتَ فلا تحرميني من حبي لك وحب ما أبدعِ يا بهجة حريتي يا السلام!

غبتُّ منذ صعدت أنا وكوثر، عما كان يجري حولي... كانت سيارة شرطة إسرائيلية، قد حملت جوليا إلى مقر الشرطة الرئيسي في تل أبيب:

- أنتِ تأوي في بيتك جماعة تهدد أمن إسرائيل!
- كلا!
- لدينا أدلة دامغة!
- كلها مزورة!
- سنحيلك إلى القضاء، وهو يبت في أمرك!
- لا شرعية لك أيها الضابط المخدوع ولا شرعية لقضاء دولة غاصبة!
- إيواء فلسطينيين من غزة مطلوبين للأمن الإسرائيلي جريمة يحاسب عليها القانون الإسرائيلي وبقسوة!
- تهديدك لا يخيفني أيها الضال!
- سأصدر الآن أمرا بتحويلك إلى النيابة العامة، وسأرسل قوة للقبض على عشيقك الماجن وعلى ماريا وبهيجة!
- وسارّة؟!
- سأسلمها لعشيرتها!

- خسئت؛ ستحصد الخيبة!

تلقى الضابط المحقق اتصالا هاتفيا:

- تفضل!
- افرج عن جوليا فورا!
- لكنها مجرمة وتأوي مجرمين!
- نفذ، الأمر صدر من المستوى السياسي!
- هذا انتهاك للقانون ويُفقد الجهاز الأمني هيبته!
- يرتكز أمن إسرائيل على افتراق العرب؛ أسأل جوليا عن طائفتها وستعرف السبب الكامن وراء الأمر بإخلاء سبيلها!
- من أية طائفة أنت أيتها السيدة جوليا؟!
- من طائفة راية الحب البيضاء!
- أقصد يا سيدتي: من أية طائفة عربية في إسرائيل أنت؟!
- أنا من شعب فلسطين، صاحب الحق الشرعي في كل فلسطين!
- هالو.. من أية طائفة هي؟!
- من طائفة الدروز!
- لماذا تخفين عني طائفتك؟!
- الدروز عرب أقحاح وفلسطينيون شرفاء كرام!
- تستطيعي العودة الآن؛ أما المطلوبون لنا المقيمون عندك، فسأرسل قوة لاعتقالهم؛ أرجو أن تحتفظي بهذا لنفسك!
- لن يمسهم سوء؛ ستحفظهم راية الحب البيضاء وقلبها البلّوري النابض!

مع انتهاء جوليا من حديثها، حوّمت طائرة مروحية فوقنا، وحاصرتنا قوة من الشرطة مدعومة بآليات عسكرية، وصاح مكبر صوت: سلّموا أنفسكم، ولا تحاولوا الهرب! وأردف الصوت الغاصب الهادر: إذا لم تسلموا أنفسكم بهدوء، فسنقتحم البيت ونقبض عليكم جميعا! وعلى الفور، حملتني الحمارة أنا وماريا وكوثر على ظهرها، وحملت هابيلة سارّةَ وحمل هابيل بهيجةَ وحلّقنا في فضاء الحب المفتوح...

هتفت جوليا: الحب ينتصر! وهتفت أزهار حديقتها: العدوان يندحر!

وألقى صبية يافا ونساؤها ورجالها ومعهم نفر من صبية ونساء ورجال تل ابيب، الحجارة على المروحية والآليات العسكرية وسيارات الشرطة وهي تولي الدبر وتضرط من مؤخراتها...

وظلت راية الحب البيضاء خفاقة وارتقى في السماوات نورها وازداد سطوعا وابتهاجا وحرية!

وعدنا من فوق البحر إلى فوق بيت الحب وتعرّت جوليا وأسدلت شعرها الناعم على كتفيها وظهرها وتدلّى فغطى نصف ردفيها وتعرينا أنا وماريا وبهيجة وسارة والطفلان كانا دائما عاريين واصطففنا والحمارة خلفنا تحمي ظهورنا وجوليا أمامنا وجهها إلينا وأُوحِيَ إلى جوليا إنك أنتِ الإمام وأنا راية الحب البيضاء ربتكم فهيا فصلّوا في قلوبكم صلاة بهجة وحرية... ومنذ البدء وفيما تلا، تنزّل الوحيَ على جوليا واعية مسموعا واضحا مكتوبا على صحف محفوظة في النور لا تُمحى وتظل جديدة فيها حياة ونعيم لا ممات وجحيم لا تأكلها دابة ولا تنقضها المتغيرات الحادثات ولا تناقض الطبيعيات والحاجات...

- أين كوثر؟!
- ترفض الصلاة معنا!
- لماذا؟!
- تتهمنا بالتحيز ضد اللون الأسود!
- ماذا تعني؟!
- تقول إن تاريخ الأديان العربي خال من نبية أو نبي لوّن الله بالسواد جلده!
- اسألي ربتك يا جوليا: لماذا لم تبعث الآلهة العربية أنبياء سود الجلود!
- أجيبي يا ربتي!
- لأنهم بيض القلوب!
- ولكن ها كوثر ترنو لنبوة!
- كوني يا كوثر نبية!

وأُوْحِيَ إليّ: إنّا أعطيناك وأهلك الكوثر فصلّوا مع جوليا الإمام وكوثر النبية... وأُوْحِيَ إلى كوثر ما أُوْحيَ لجوليا:

في سرَّك و/أو جهْرك صلِّ صلاة المحب المبتهج.. قل/قولي: يا حبّي وبهجتي، أنت ربّتي أنت كنزي الثمين لا ينفذ خيرك ولا يغادر.. نعمتي أنت يا حب يا بهجة.. أشكرك ربتي على نعمتك على خلقك أجمعين.. تنعمين أنت كل حين وتزيدي كلما حان جديد.. أنت حرية النور والحب المبتهج ومن طبع حرية النور الحب المبتهج أن ينعم ويزيد!

خفضنا رؤوسنا ثم رفعناها فرتّلت كوثر بصوت عذب حنون وصدرها يرنو شامخا إلينا وعيوننا تغازله وخصرها اللدن الرهيف يتماوج فوق حوضها المشع الفسيح وأريج جسمها الغض عبق خمر معتق يملأ صدورنا ويرقّص قلوبنا:

بنور حب مبتهج حر يملأ وعيك وشعورك قلْ وقولي: هبيني والخلقَ أجمعين، حبا أنت خلقتني به والخلقَ أجمعين، وهبيني بهجة أنت بها خلقتني ولها أنا والخلق أجمعين.. يا حبي وبهجتي أنا والخلق أجمعين، أنت حريتي ومجدي أنا والخلق أجمعين.. هبيني صبرا على من ضلّ عن طريقك طريق النور والحب والبهجة لي، وللخلق أجمعين..

ورتّلت جوليا:

أنت يا حبي وبهجتي وحريتي ومجدي ربَّة الحُلم والحِلم إليك أبرأ من كل سخط فهبيني الصبر على كل أذى وشيطان رجيم...

تقدمت سارّة خطوة وحدقت في الهواء ورفعت كفيها ودعت:

وهبيني أنا والخلق أجمعين مجد المحبين المبتهجين أحرار القلوب المضيئين...

أجهشت بالبكاء وتمتمت:

عتت ريح قومي وتجبرت وأظلمت قلوبهم وتحجرت وقست أياديهم وأدمت طهارتي ورجمت عفتي فاغفري ربتي لأمي وأبي وإخوتي وكل عشيرتي واهديهم إليك ثم ردينيي إليهم رد سالم إلى سالمين...

ثم رفعت صوتها ورتلت بأسى وثقة:

أنت لي وللخلق أجمعين سند ومدد.. بحبي وبهجتي ونوري وحريتي أنت سند مدد إذا الأرض أقفرت واكفهرت الأيام وأرقتني الليالي وأظلمت سمائي أنت نوري أنت خزائن الخير أنت بطبعك لا تغلقي أبواب خزائن خيرك فانعِمي عليّ بكل خير يا من لا ينضب خيرك، أنا والخلق أجمعين..

قالت ماريا بصوت خاشع:

خير الخير أنت يا ربة بهجتنا ونور عقلي وحريتي وبهجة قلبي والحب منك ولك والخلق ومنهم أجمعين.. فهبينا خيرَ الخير وهبي الخيرَ كله لي أنا وللخلق أجمعين..

قالت جوليا:

أُوحِيَ إليّ أن صلّوا فرادى وجمعا دَوْما يا بنات وابناء أمي وأبي وفرادى وجمعا، دَوْما انطلقوا... بقلوبٍ وعقولٍ مبتهجة محبة منفتحةٍ طاهرةٍ متفوقةٍ مثابرة صابرة انطلقوا... في دروب الحياة انطلقوا.. اطلبوا الخير فربّة الخير أودعت كنوز الخير في حبّكم وبهجتكم وانطلاقة أرواحكم وعقولكم وسواعدكم وارجلكم.. ربّة الخير أودعت كنوز الخير في قلوبكم وعقولكم وسلَّمتكم بأياديكم مفاتيحها.. بالحب والبهجة والعقل وكرامتكم افتحوا بأياديكم خزائن الخير التي فيكم وحولكم هي لكم جمعا وفرادى هي لكم...

قالت كوثر بمحيا منتش باسم:

ربّة النور الذي فيكم وبكم وحولكم بالبهجة والحب تناديكم في العتمة وفي الضياء: انطلق أيها الحرّ الكريم بالبهجة والحب والحكمة، أكون أنا الأكوان كلها لك ومعك...

رفعت راسها وراحتيها المكتنزتين وأطلقت نظراتها وتابعت بصوتها الرخيم:

أيها الإنسان.. فيك نور يمده نورك الأبدي.. وفي الزمان ظلام يعدو عليك ويقسو ويغلق الأبواب خارجك، يسعى لخنقك وموتك فلا تطْوِ شراعك في البحر الصاخب اللّجيّ وافتح كنز الكنوز فيك وابتهج.. بهجة حب ابتهج واصبر صبر العالين وأحبب حياتك وصلِّ لربتك ربّة الخير كله، صلاة الحبّ والبهجة.. بقلبك حاضرا في نورك الأبدي صلّ صلاتك وفي النور انطلق مقبلا على الحياة لا مدبرا.. الشيطان يريدك مدبرا فاقبِل على الحياة مؤمنا بالحياة محبا مبتهجا؛ تقبل عليك الحياة محبة لك وبك مبتهجة...

قالت بهيجة:

تمسكوا بالحكمة... وداووا الداء بسيد الدواء: بهجة الحب جوهرة الحكمة وسيدة الدواء! حكمة النور عروتنا الوثقى.. تمسّكوا بالعروة الوثقى يهديكم النور الذي فيكم وحولكم للطريق القويم..

قالت سارّة مطمئنة النفس:

كنوز الخير لها طريق.. حب النور طريقنا إليها.. الشياطين الجاهلة الظالمة الجائرة تقف لنا بالمرصاد على الأبواب.. فلا تحزنوا أيها الأحرار، أنتم الأعلون أنتم الأكرمون... بالنور الذي فيكم، ببهجة حبكم بحكمتكم أنتم الأعلون الأكرمون... أنتم الماجدون فلا تهنوا ولا تحزنوا...

وقالت جوليا:

أُوحيَ إليّ أن أعطِ/ي البابَ الموصد ظهرَك.. ببهجة الحب أعطِ/ي الباب الموصد ظهرك.. ابتسم/ي من قلبك للشياطين بحب وبهجة وصلِّ/ي لربتك فاسأليها الهدى للخير لك وللأكوان كلها وبالإيمان الحكيم الراسخ القوي انطلق/ي...

قالت كوثر:

أُوْحِيَ إليّ أن اصبر/ي صبرك الجميل العميق واسترخِ/ي وابتهج/ي واحبب/ي حياتك أنت احبب/ي الحياة كلها واستنشق/ي هواء نقيا ببهجة بعمق ببطءٍ وتأنّ وازفر/ي ببهجة بعمق ببطءٍ ثماني مرات جدِّد/ي هواء صدرك وانهض/ي بحب مبتهج وانطلق/ي... بحكمة البهجة والحب انطلق/ي تأتيك كنوز الخير والطيبات المباركات..

ابتسمت ماريا وأشرقت بالنور البهيج عيناها ووجهاها ودفعت نهديها للأمام وقالت بصوتها الساحر:

بهجة الحب هي خير الخير وأطيب الطيبات وابرك البركات... بهجة الحب هي أصفى الخير وهي الخير فوق كل خير... واصعدوا منكم إلى فوقكم يطلب الفوق فصلِّ دائما صلاة التطهر والتفوق والتحقق بالبهجة والحب والحكمة والنور والحرية...

صاح شاب من شرفة تطل علينا:

فرادى وجمعا دَوْما صلّوا.. ربِّ أنتَ النور الذي به كنت وأكون...

صاحت فتاة عارية الصدر تقف في أعلى شرفة تطل علينا:

ربّتي أنت تفوقي وتحققي... أحبكِ وأبتهج بحبك أنتِ حريتي وأنا فهبيني وهبي الخلق أجمعين إخوتي قوة حبٍّ وبهجة ننهض بها وننطلق.. بك يا بهجة الحب التي تقوى بها روحي، أنا أنهض.. وفي دروب مجدي أنا أنطلق...

تكلمت الحمارة بوقار فقالت:

بإرادة حياة وخير أنا أنهض.. وأنطلق..

وقلنا جميعا وقال من حولنا نساءا ورجالا وأطفالا:

تقبّلي ربِّتنا/ربنا صلاتنا والخلق أجمعين..

قالت راية الحب البيضاء: تقبلتها فاقبلوا أنتن/م قبولي... ابتهجوا تحابّوا تراحموا اصنعوا سلاما في قلوبكم بعقولكم بأيديكم... اصنعوا مجدكم وخلودكم قبل مماتكم أنا حياتكم...

قال الطفلان بوجهين متوهجين مغتبطين وصوت ملائكي رنيم:

صلوا قياما وقعودا وعلى جنوبكم... لربتنا/لربنا المثلِ الأعلى صلّوا.. لكَ ربتنا/ربَّنا الطيباتُ المباركاتُ ولنا ولك المجدُ ولنا.. فتقبَّل/ي منّا حبنا وبارك/ي بهجتنا... يا ربتنا ياربنا يا نورنا يا بهجة حبنا وحريتنا... يا عدل يا سلام...

انحنينا معنا مَن حولنا وقلنا بخشوع المؤمنين الشاكرين بصوت واحد وراحات أكفنا اليمنى على قلوبنا وأقدامنا اليسرى عارية أمامنا:

آمين... آمين...!

وتعانقنا بقلوب منيرة محبة مبتهجة متفتحة الأزهار مطمئنة راضية تنعم بالوئام والسلام والحرية... ولوّحت الأيادي لنا... ولوّحت أيادينا لمن حولنا من إنس وطير ودابة وشجر... وعاد موج البحر يهدر...

٨

يتابع سيل الزمان تحدره في دروب الظلمة الساقطة إلى وادي الهلاك... شبّ الطفلان وغابت الحمارة وها ماس يعدو في حديقة بيت الحب الذي يجمعنا أنا ونسائي الخمسة... كانت هابيلة تمرح مع هابيل وتعانقه ويقبلها ويلقيها على عشب فناء جوليا ثم ينهضان ويعلو صخبهما الضاحك ونتابعهم أنا وماريا والنسوة الأخريات بقلوب مفعمة بالحب الساطع النابض... ما أجملك أيتها الحرية المبتهجة... يا حرية النور... على الطرف الآخر من سور جنة جوليا، تقفز فوق موج يحملها إلى الشاطئ الملامس للجدار الزجاجي... كل جدران جوليا زجاجية شفافة، مصنوعة بتقنية تسمح لشعاعي الصبح والمساء الناعمين وشمس الشتاء بالمرور، وتمنع الشعاع حين يقسو في الصيوف... التكنولوجيا في دولة إسرائيل متقدمة؛ قلب إسرائيل عنصري مظلم متحجر في تاريخ تكلست مفاصله!

عقل راية الحب البيضاء حر متفتح الأزهار محب مبتهج!

ضم هابيل ماس بين ذراعيه، واقبلت هابيلة بمرح تغني وترقص وضمتهما معا... صعدوا إلى الطابق العلوى ولامست أجسامهم العارية زجاج الحائط الغربي، أطلقوا نظرات عيونهم فوق ظهر البحر المترامي أمامهم، روى الشابان الزوجان أن ماس قفز من بينهما في الهواء وصاح: محراب البهجة! لم يكن ماس قد تكلم من قبل، وماس جنس غير الذكر وغير الأنثى! حدق الشابان في نور أشرق من بطن البحر وارتقى حتى عنان السماء وكان يسعى نحوهما فقرأت هابيلة: محراب البهجة! كُتبت الكلمتان بالذهب الشفاف، قرأ هابيل: الميم ماء والحاء حب والراء رواء والألف صعود والباء بناء والباء بهاء والهاء هيام والجيم جمال والتاء المربوطة أنثى حرة! وقال: مكتوبة على وجه النور بالذهب الشفاف!

قلت: اسألا ربتكما أين هو؟!

قال ماس: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس!

وصاح بجذل بريء: فلسطين محراب البهجة!

صاحت سارّة بجذل أنثوي وقور: فلسطين محراب الحرية المبتهجة بالحب!

سألتُ بهيجة وجوليا وسارّة وكوثر: ما سر تأخر ولاداتكم؟!

قلن بلسان واحد بنبرة صريحة عالية واثقة مستبشرة: سنلد في محراب البهجة!

تقدم النور ولفنا ولم يغادرنا منذ تلك الساعة!

عانقتنا الحمارة وبكت وبكينا وغادرتنا... ذابت في النور... نحن الآن أمنون مطمئنون هانئون، نور قلوبنا موصول بنور الأكوان... ابننا ماس يا ماريا رسول النور!

رسول الحرية؛ قالت سارّة!

رسول الكرامة؛ قالت كوثر!

رسول الحب؛ قالت جوليا!

رسول المجد؛ قالت بهيجة!

رسول السلام؛ قالت هابيلة وهابيل!

رسول الإنسانية؛ قلنا بلسان واحد...

باني محراب البهجة أنا؛ قال/ت ماس!

قال/ت ماس: منذ الآن أُدعى ماسة...

غدونا نورا موصولا بالنور الحُر من الحد، نور الكون الواحد النابض في الأكوان الممتد من أول لم يُسبق إلى آخر لا ينتهي، ومن باطن بلا قاع مفتوح على ظاهر وسيع طليق!

لن نخشى في الحق لومة لائم؛ صاحت الشابة والشاب... ولن تقدر قوة على حجب صوتنا وتكبيل أيادينا وأرجلنا، نحن الحق وما عدانا باطل...

جاء الحق وزهق الباطل؛ هتفت ماسة...

النصر حليفنا؛ صاحت هابيلة...

المستقبل لنا؛ صاح هابيل...

- ما هي خطوتك الأولى يا ماسة؟
- تعليم الجاهل... وتأديب الفظ باللين من القول والفعل... ورعاية المواهب...
- والثانية؟
- إنصاف المظلوم وإرواء الظامئ وإطعام الجائع ومداوة المريض وإيواء كل من لا مأوى له وإبهاج المكروب البائس ومواساة الحزين وكشف المخبوء

وستر القبيح ولمّ الشارد وحب المنبوذ وتقريب البعيد وضم المخالف وتأمين الخائف وإغناء المحتاج وإعزاز المَهين وتبني اللقيط ورفع الأنثى...

- والثالثة؟
- نثر الجمال...
- والرابعة؟
- إشاعة الرفاهية واللهو الحر وبناء بيوت الفكر والفن وبناء الجدران من البلّور...
- والخامسة؟
- توحيد الأجناس والألوان وتشييد العمران وإبادة آلة الحرب ورفع راية الوئان السلام ...
- والسادسة؟
- إقامة صرح انتصارنا الأعظم...
- ما هو؟
- محراب البهجة...
- وبعده؟
- دوام التجدد...
- كيف؟
- الإيمان بالحياة وحبها وحفظها وإنمائها والاستمتاع بما طاب منها وصلح ونفع...
- بلا شرط أو قيد؟
- بلا شرط أو قيد سوى العدل...
- وما العدل؟
- العدل هو أن ينال الحقّ مَن يستحقه...
- وما الحق؟
- الحق هو أن تؤمن بالخير وأن تعمل به له...
- لمن؟
- لك وللخلق أجمعين...

قالت ماريا: اصغي إليّ يا ماسة؛ زرعك أبوك في رحمي يوم شبت نار الحقد في المسجد الأقصى، في ذلك اليوم الموافق لـ ٢١ من آب (أغسطس) ١٩٦٩م، أحرق أخرق مصلّى لله في رحاب بيت المقدس، تباطأ الاحتلال الإسرائيلي الغاصب في إطفاء الحريق، ولكني أنا وأبوك، في ذاك اليوم، رفعنا للمرة الأولى راية الحب البيضاء، وزرعناك ونحن تحتها، وهي تخفق في قلوبنا، فأنت ابنة راية الحب

البيضاء وقلبها النابض، أنت رد الحب على حقد الجهل الذي أشعل النار في رحاب بيت المقدس، بدأ الحب بيني وبين وأبيك ونحن عرايا في النور، أنت ابنة النور العاري، حريق المسجد الأقصى جريمة اقترفها شيطان رجيم، بدأ حبي لأبيك وبدأت أنت بعدما وقفنا من غير تدبير، عند نافذة حجرة بهيجة التي ظلت مغلقة من سكنتها... كان أبوك وكنت أنا غير راضيين عن تلصصنا على ما كان يجري في الظلمة وراء النافذة الصدئة، كنا نشعر أن وراء عملنا سر، لم نذْرِ ما هو؛ الآن أنا أحدس هذا السر: كنا نريد، وبدون تدبير، أن نعرف سبب انغلاق نافذة بهيجة المديد، كان الحقد هو السبب يا بنية، من نافذة بهيجة المغلقة، في الليل البهيم، انطلقت أنا وأبوك إلى عش الحب وضاجعني تحت السماء فحملت بك يا رسولة راية الحب البيضاء، يفجر الشيطان الرجيم الآن في بيت المقدس، رسالتك هي أن تسقطي عرش إبليس وترفعي عرش حبنا المبتهج... أنت يا ماسة ردّ الحب على الانغلاق الصدئ... إسرائيل دولة انغلاق صدئ، لا أبرئ الجانب المظلوم من إدانتي، فهو منغلق أيضا، الفرق بين الانغلاقين، هو أن أحدهما ظالم والآخر مظلوم، أنت رسولة العدل يا ماسة، أسسي محراب البهجة على دعامات العدل يا بنيّة، الحب والعدل ينجبان السلام، الله سلام وسماء فلسطين فضاء السلام، وأرضها أرض السلام، محراب البهجة هو محراب السلام، محراب البهجة ابتدأ منذ تلاقح ماء أبيك مع ينوع أنوثتي، في تلك الليلة، كانت النار الحاقدة تأكل مصلّى في بيت المقدس، وكنت أنا وأبيك نصلي بالحب للبهجة... الله هو البهجة يا جوهرة النور البيضاء الثمينة يا ماسة... اذهبي إلى بيت المقدس أنت وأختك هابيلة وأخيك هابيل، هما من النور العاري الخفي وأنت من النور الإنساني البهي، ستبقين طفلة بريئة هادئة متزنة رومانسية حالمة طموحة إيجابية تبني ولا تهدم... ابني صرح الأنسان الأعظم في النور العاري الساطع في أفق بيت المقدس فاجعلي محراب البهجة فوق ما بُني من قبل لا تطمسي ما بُنيَ من قبل لكن ارتقي فوقه ولا تجعلي بينك وبين العرش الأعلى حاجزا واجعلي العرس الأعلى قبلتك لا تتخذي قبلة دونه... محراب البهجة بيت الله الأعلى بيت الإنسان الأعلى...

أجل يا ماريا، أجل يا ابنتي يا ماسة؛ محراب البهجة بيت الله الأعلى بيت الإنسان الأعلى... الله الأعلى نور عار ساطع في قلوب المؤمنين وحرية مبتهجة بالحب... الحب رايتنا البيضاء يا ماسة والسلام غايتنا...

والخلود أيها الحبيب أيتها الحبيبة؛ الخلود هنا ومنذ الآن؛ اتخذي لك هدفا رئيسا: وجهي نصف طاقتك نحو إنشاء مختبر علمي اجمعي فيه عباقرة الناس من كل صوب وأكرميهم وأغدقي عليهم وادعيهم إلى البحث الروحي والعلمي عن سر الخلود، اجعلي هدفك الأسمى هو إدامة الحياة، وتجويدها، اجعلي هدفك الأسمى هو

بدء الجنة الموعودة في الكتب الدينية، نريد أن نبدأها هنا، وأن نستمر بها هنا وفوقنا، نريد حياة أبدية هانئة كريمة حرة مبتهجة متجددة تبدأ هنا من محراب البهجة...

حدسي يا ابنتي يرى أن الحب المبتهج لا يجتمع مع الموت ومع المرض والشقاء!

قالت كوثر: أُوحِي إليّ أن أحيوا الليلة حفلا للحب المبتهج...

قالت جوليا: أُحِيَ إليّ أن أقيموا الليلة صلاة الحب السافر قبل أن تنتشروا منذ فجر الغد في اتجاهات الأرض الأربعة...

قالت سارّة: أعدّ نفسك لترتقي فوق نهودنا العارية المتماوجة تحتك في السماء المفتوحة يا زوجنا الغالي...

قالت بهيجة: غدا سأعبر الهضاب بين أهلي وأقفز فوق البحر الميت نحو الشرق وهناك تلد ابنتي ...

قالت كوثر: غدا سأقفز فوق الجدار وأركب البحر نحو الغرب وهناك يلد ابني...

قالت سارّة: غدا سأعبر الكثبان وأطوف بين أهلي وسألقي سلام الحب المبتهج عليهم وسيسامحهم قلبي وسأمضي نجو الجنوب وهناك تلد ابنتي...

قالت جوليا: وأنا سأعبر السهول حتى شمال فلسطين وأزور أهلي وأروي شوقي إليهم وسأواصل نحو الشمال وهناك يلد ابني...

قالت ماريا: أنا وأبو راية الحب البيضاء سنبقى هنا في يافا إلى حين...

قلت: اصغوا إليّ بقلوب عقولكم... أنتم رواد أقوياء فاتحون شجعان مقدامون... احفظن واحفظوا كتبا النور الذي أشرق في قلوب ناسة وهابيل وهابيلة المكتوب بالذهب الصافي ولا تحسبوا أن كل ما يلمع تحت الشمس ذهب من الذهب الصافي، ستجدون أينما تحلّون مفاصل جامدة وقلوبا مغلقة وعقولا معتمة، فاصبروا وثابروا وتفاءلوا فالحب لا محالة ينتصر... انصروا الحب في قوبكم واصدقوا تفوزوا فوزا مبينا، الحب ينصر مَن ينصره، فانصروه بالجنان النابض واللسان الحكيم والقدوة الحسنة، واعملوا الخير لا تنظروا أجركم فنصركم أجركم فانصروا راية الحب البيضاء وانثروا البهجة حولكم، انثروها من قلوبكم وبعيونكم، ظلوا مبتسمين مقبلين لا تعبسوا ولو عبست لكم الليالي والأيام والوجوه والوحوش... ازرعوا راية الحب البيضاء في كل ثرى، الحب ينبت في كل ثرى... أعينوا الحاصدين وابتهجوا بهم ولهم، صلوا معهم وراقصوهم عرايا في النور لا تبخلوا ولا تكلّوا ولا تملّوا...

ستمدكم راية الحب البيضاء الخفاقة في قلوبكم بقوة لا تنفد وتنفذ منكم أليهم فيزرعوا في الأرض ما زرعتم ويزيد الحصاد ويطيب الثمر... كل ثمر طيب مشاع فاستمتعوا وأمتعوا بالطيبات وتعطروا في مناكم وصحوكم واعطوا من أنفسكم ما طاب لإخوتكن وإخوتكم... كل ما أُعطِيَ في النور بحب وبهجة حلال زلال تثابون عليه وتنعمون به نعمة لا تبرح قلوبكن وأجسامكن وقلوبكم وأجسامكم ما لم تطفئوا أنواركم وتكفروا بها وتستحقرونها وتدوسها أقدامكم وتستدبرونها... ابتهجوا بالحرية فالحياة حرية مبتهجة... ستلقى عليكم ورودا وأشواكا، قربوا الورود من وجوهكم واحذروا الأشواك، لا تقلعوا الأشواك فالوردة تحرسها أشواكها... هيا استعدوا ايتها الورود لحرية بالحب مبتهجة في النور الجامع المفتوح المشاع... هيا يا زوجاتي سأسقي زرعكن قبل رحيلكن وأنت يا ماريا سأزرع الليلة حقلك مرة أخرى! الحرية أيها الأهل الكرام بهجة حب متجددة... يا ماسة ويا هابيل ويا هابيلة؛ نريد ابتكارا يهبنا بهجة حب متجددة خالدة... الموت ليس قدرا محتوما؛ الحياة قدر محتوم والله خلق الحياة لتدوم؛ نريد دواءا يكافح الشيخوخة ويقاوم الموت والظلم والقهر والفقر والظمأ والجوع والبؤس وإذا تعاطيناه مرة واحدة رفلنا في الحرية وفتحنا الأبواب وسبّحنا للحب وسكرْنا بالبهجة فرادى ومتعانقين...

قالت سارّة: شفاء القلوب يشفي العقول!

قالت جوليا: أخبرينا يا بهيجة عن سرّ شبابك المتدفق بينما أنتِ حول المائة وربما أكثر؟!

قالت بهيجة: لي من اسمي نصيب!

وأنتَ يا صانع راية الحب البيضاء؟!

- إيمانك يصنعك!
- بهجة الحب على ظهر النور تجدد الشباب وتحفظه!
- الله حرية النور المبتهج بالحب!
- الله حيّ دائم قوي قادر واهب لا يشيخ ولا يمرض ولا ييأس ولا ييأس ولا يكلّ ولا يملّ...
- إيمانك يصنعك!
- افتحي قوتك المحدودة على قوة الله المطلقة توهبين من الله قدرة تعادل إيمانك وإخلاصك وجهادك!
- الله عادل!
- ازرع تحصد!

- هيا يا أشواقي نزرع الأرحام أزهارا جديدة!
- وأنتم أيها الأبناء كونوا شهودا... وقتكم قادم...

نهضنا مع آذان فجر اليوم التالي، ذرفنا دموعا غزيرة ساخنة وتعانقنا عناقا حميما طويلا متكررا... مضوا كل إلى وجهته... وظللت أنا وماريا نجهش بالبكاء المكتوم حتى أشرقت الشمس من جديد...

- رحيل ماسة يشرخ قلبي، أنا ملتاعة جدا ولا أدري كيف سأقوى على بعدها عني؟!
- لوعتي لا تقل عن لوعتك، ولكنها مختارة لتبليغ رسالة سامية، ولا يحق لعواطفنا أن تعطل الاختيار يا ماريا!
- أتفق معك ولكنني أحمل قلب أمّ حملها رحمها، أنت تختلف عني!
- لو كان بيدي لحملتها معك!
- قدر الأنثى أن تحمل العذابات وأنتم أيها الذكور تكتفون بنزوة عابرة ثم تديرون ظهوركم وتضطجعون وتغرقون في نومكم أو تديرون أموركم لنزوة جديدة مع أنثى ثانية وثالثة ورابعة...!
- كانت نار غيرتك تلفح وجهك كلما نزوت مع امرأة سواك! اهنئي، ها أنت الآن تملكيني وحدك فهيا نستعيد حضننا القديم فوق رأس الكثيب تحت عريش عسف النخيل السابح مع النجوم!
- لم يسامحك قلبي لكنني تجملت بالصبر وحكمة الحياة!
- هيا اقتربي، المسامح كريم!
- عدني أن لا تعود إلى سابق عهدك النسائي المنفلت فتشعل نارا تلفحني من جديد!
- ...
- أعرف أنك لا تعد بما لا تستطيع الوفاء به؛ لماذا أنتم جائرون يا معشر الذكور!
- فوارق الطبيعة هي المسئولة!
- رحم الأنثى جوّاها...
- بضاعة الذكر خارجة عنه ممدودة!
- أنا أنثى وأريدك لي وحدي!
- تُرى، هل أنت الأنانية أم أنا؟!
- حقي أن تكون لي وحدي، لكنك جائر يا صانع راية الحب البيضاء!
- أنا صانع ماسة بانية صرح الحرية الأعظم: محراب البهجة!
- ماسة لن تشعر بما اشعر به، أنا أنثى وهي ذكر أنثى!

- هل قررت الطبيعة أخيرا أن تقدم حلا للمشكلة الأزلية بين الذكور والإناث؟!
- تقصد مشكلة جور الذكور على الإناث!
- المسألة تقلقني؛ ما الحل لديك؛ أقسم بحبي لك أني أتطلع إلى حل صحيح يمنح المرأة عدلا تسلبه الذكورة منها!
- ...
- هل يرضيك تعدد الأزواج؟!
- ...
- هل يمنعك حياؤك الاجتماعي القاهر أن تعربي عن رغبتك في الزواج من رجال غيري؟!
- ...
- سمحتْ ثقافات أخرى للمرأة بالزواج من أكثر من رجل؛ ما رأيك، أنا وأنت من المؤمنين براية الحب البيضاء والأمر شورى بيننا!
- سأترك بانية الصرح الإنساني الأعظم القادم مختارة النور العاري الساطع أن تختار لنا!
- أنت على حق؛ فهي لا أنثى ولا ذكر، وأحكامها لن تنحاز إلى هذا الجنس أو ذاك!
- مَن هذا الجنس ومَن ذاك!
- فيك بقية من يهودية قديمة!
- ماذا تعني؟!
- تذكريني بقصة يهود موسى والبقرة كما وردت في القرآن! أكثروا السؤال فضيقوا الله الواسع الطليق!
- أتباع الأديان كلهم يضيقون أفق الله الواسع الطليق! هل لا تزالي يهودية؟!
- أظنك لا تزال في ضلالك القديم! هل يميل قلبك إلى مسيلمة الكندي الموصوف بالكاذب في كتب المسلمين؟!
- ماذا دهاك يا ماريا؛ هل كفرت براية الحب البيضاء؟!
- قلبي موجوع منك وأتألم بصمت!
- لا ضير عليك، أخرجي ما يعذبك من ظلام نفسك إلى حرية النور!
- هل أنت تخفي أنك من أتباع مسيلمة؛ اسمك مشتق منه!
- هل ابتليت بالنسيان؛ تحدثنا عن ذلك في وقت سابق!
- النسيان نعمة من الله على الإنسان!
- لم يصفُ قلبك نحوي بعد!
- أحبك ويعميني حبك، لكني لا أريدك أن تشرك فيك غيري!
- أنتِ مني كماريا القبطية من النبي محمد!

- جارية؟!
- خليلة روحي وخمري المعتق!
- جارية!
- وكعائشة، أحب نسائي إلى قلبي!
- أريدك بلا نساء غيري!
- وأنت لي كما كانت ماريا المجدلية لعيسى!
- لم نكن ماريا زوجة لمحمد ولا لعيسى، كانتا لإشباع الهوى!
- كانتا حبيبتان صادقتان؛ ماريا عيسى أحيت دعوته بعد موته، وماريا محمد وهبته إبراهيم ولم تهبه امرأة سواها ولدا كان يشتهيه، بعدما مات ابناه الذكران من خديجة!
- لكنك لا تحبني؛ قلبك متيم بجوليا وتذوب فوقها، طلقها الآن ليطمئن قلبي!
- أجل؛ أنا متيم بجوليا، وأحبها، لكني أحبك أكبر من حبي لها!
- لا أصدقك!
- أقسم براية الحب البيضاء وباشتهائي الآن لعسلك إني صادق!
- هات دليلا...
- كنتُ مخمورا ذات جولة بين أربعتها، فأفقت عليها وهي تدفعني عنها وتقول لي بحدة غاضبة دامية: أنا جوليا!
- قلت: أجل، أنت جوليا!
- قالت ولا تزال محتدة غاضبه: لكنك قلتَ أودَ أن لا أصحو من سكْري وأنا فوقك يا ماريا!
- قد يكون دليلك ملفقا؟!
- اسألي نفسك: لماذا سمحت لك بولادة جنينك هنا ولم أسمح لسواك بذلك؟!
- إمممم...!
- واسألي نفسك: لماذا بعثتُ نسائي الأخريات إلى أماكن قصية وأبقيتك معي؟! هيا اقتربي، أشتهي لثم جبينك وجنتيك وجفنيك وشحمتَي أذنيك وشفتيك وأن أرعي جيدك ونهديك وأغوص فيك إلى قاع عسلك!
- فسّر لي لماذا تركت جوليا لك البيت ووهبتك مالا كثيرا؟! لتتزوج نساء أخريات؟!
- جوليا تركت بيتها ومالها لي ولك! وتركت بيتا لها في القدس ومالا لماسة وهابيلة وهابيل، وأعطت بهيجة وكوثر وسارة مالا كثيرا...
- كلا؛ لا أصدق، كرمها شملك وحدك... هذا تدبير شيطانكما المشترك! أنت فقير ولا تستطيع الزواج لحاجة النساء للمال، فوهبتك المال وتركت لك بيتها الكبير لكي لا تبقى لي وحدي بعد رحيلها!

- وراءك شيطان لعين يحارب رغبتي الجامحة في ضمك إلى صدري!
- ترغب الآن في ضمي بعد رحيل من كنت تضمهن تحت سمعي وبصري! كنت تستمتع وكنت أنا أحترق وأكبت عذاباتي وآلامي ودموعي! كنت أتقلب على الجمر حين كنت تهبط مع جوليا إلى سردابي المظلم!
- الحق إني اشتهيت أن أصعد معكما من فراش يضمكما!
- الله... الله... كان يجب أن تعترف بحبك الجارف لها، قبل أن نهدر كل هذا الوقت وأن نكابد العناء الشديد!
- الحق أنا أحبك وأحب جوليا وبهيجة وسارّة وكوثر!
- قل إنك تحب النساء كلهن!
- أجل؛ أحب النساء كلهن!
- أينك يا ماسة، أبوك يتبخر من بين أيدينا... وا لوعتاه... وا مصيبتاه... أبوك يا ماسة يتفوق على نبي المسلمين الذي شرع قرآنه له أن يتزوج ما تشتهي نفسه من النساء وكل من تهب نفسها له... أبوك يتفوق على داود وسليمان...!
- ستبني ماسة صرحنا فوق مصلى داود وسليمان وصخرة مسرى محمد ومسجد عمر!
- أتخيلك وأنت في محراب البهجة تقفز من حضن أنثى إلى حضن سواها لا تمل ولا تثمل...!
- لا يروق لي أن تُعمي الغيرة أقرب نسائي إلى نفسي، وأن يمنعها قصر النظر من مراعاة المصلحة العليا لراية الحب البيضاء؛ أنا أعدد الزوجات لحاجة الدعوة إلى أرحام كثيرة أزرع فيهن البهجة ويتوزعن في الأمصار ويلدن بنات الحب المبتهج وأبنائه فيتكاثرون فتعلو رايتنا في كل البلاد فوق كل الرايات!

٩

حين كانت جوليا تعانقني قبل انطلاقها، همست في أذني: ماريا أم بهجة القلب ماستنا، ضمها إلى صدرك لا تقصها عن حضنك!

رقدت ماريا في حضني كما ترقد حمامة في عشها، أسدل الليل عباءته الشفيفة على جسمينا العاريين، ارتعش قلبها وأحسست ببرودة تسري في نهديها وتحسست ردفيها فكانتا دافئتين وتململ رأسها واغرورقت عيناها بالدموع وأغلقتها وعادت ففتحتهما ومدت ساقاها وحضنتني ذراعاها وارتخت واستلقت على ظهرها وتسمرت عيناها واضطربت أنفاسها وصاحت: حذار يا ماسة حذارِ ولا تخافِ ولا تقلقي...!

استدارت نحوي وقوست ظهرها وثنت ساقيها ودست راحتيها بين ركبتيها وتوسدت ذراعي الأيمن وأدنت راسها من صدري وهدأت أنفاسها ولفها النوم العميق!

واستعاد خيالي آخر لقاء ليل حميم مع جوليا...

- أحبكِ وأتساءل كيف سأصبر على عذابات فراقك؟!
- الزمان كفيل أن ينسيك!!
- كلا يا جوليا، أنتِ روحي النابضة في قلبي!
- أنت محظوظ، فقد وهبك الله قلوبا نابضة كثيرة في صدرك!
- ولكنكِ ابنة أمي!
- بل أمّك!
- لن أصبر على فراقك!
- لا نملك أنا وأنت إلى أن نمتثل لما أُوْحى!
- أمتثل ولكن الألم يعصر قلبي!
- ماريا كفيلة بتعويضك عني، هي عشقك الأول!
- ماريا ليست خالصة لي!
- أدرك ذلك!
- ينازعني فيها إرث طويل!
- ماذا تنتظر من يهودية بنت يهودية؟!
- قلبها أبيض طيب وحبها لي صادق!
- هل القلق جين يورّث؟!
- حالة ماريا تؤكد أنه كذلك!
- هل تقدر راية الحب البيضاء أن تشفيها؟!

- أؤمن بذلك؛ لكن طول المعاناة من مرض، تقتضي طول مدّة العلاج!
- في اعتقادكَ، ما هو العامل الرئيس المسئول عن استشراء هذا المرض في طول وعرض وظاهر وباطن حياة إخوتنا اليهود؟!
- الوعي المضطهَد!
- بدأه كُتّاب التوراة بقصة حرق إبراهيم ورسخوه بقصصهم عن اضطهاد ابن الجارية المصرية هاجر الطفل إسماعيل لجدهم ابن جدتهم الحرة سارّة إسحاق الذبيح في اعتقادهم وريث وعد الله لإبراهيم الوحيد... ثم بقصة اضطهاد أبناء يعقوب لأخيهم الصغير يوسف واضطهاد امرأة عزيز مصر وزوجها له ثم اضطهاده هو لهم حين دسّ صاع الملك في أمتعتهم وألصق بهم تهمة السرقة... ثم بقصة موسى الرضيع الذي ألقته أمّه في البحر قلقا عليه من أن يذبحه فرعون الذي أمر بذبح كل مولود يهودي، ونمت قصة الاضطهاد الإسرائيلية بسرقة كل منهم لجاره المصري قبل هروبهم من مصر بقيادة نبيهم المؤسس موسى فرارا من هلاك توعّدهم فرعون به، وإغراق جيش مصر وهلاك عدوهم ومضطهِدهم ثم اضطهادهم لربهم بمعصيته وعبادة عجل صنعوه من الذهب المصري المسروق ثم اضطهاد ربهم لهم إذ أمر أن يتيهوا في الصحراء أربعين سنة قبل أن يدخلوا أرض الميعاد التي وهبها الله لجدهم إسحاق بزعم وعيهم السحيق المتتابع الذي لم يقم دليل محايد أو ثابت على صحته!
- الوعي المضطهَد ابن وأب شرعيان للوعي المضطهِد!
- هذا تعيين صادق أمين دقيق لمشكلتنا في فلسطين، عربا وصهاينة!
- وهو تعيين صادق أمين دقيق لحل مشكلتنا المشتركة الراهنة والتاريخية!
- وهذا تعيين صادق أمين دقيق لرسالة راية الحب البيضاء!
- ولرسالة ماسة ومحراب البهجة!
- فكرت مليا: ما سرّ ولادة ماسة على حال ذي وجهين: ذكر وأنثى؟!
- تحمل ماسة جيناتي وجينات أمّ يهودية ليست عنصرية!
- وأنتما رفعتما راية الحب البيضاء معا...
- وأنتِ ترفعينها معنا...
- نرفعها معكما أنا وبهيجة وكوثر وسارّة وأجنتنا وماسة وهابيلة وهابيل وأمهما... وجنود لا نراها...
- اشتقتُ للحمارة، طال غيابها؛ ما سّر اختفائها؟!
- أُوْحِيَ إلى كوثر أن الحمارة تحشد لنصرة راية الحب البيضاء ومحراب البهجة، جنودا لا نراها...

نهضت جوليا، اقتحمت بهيجة وسارّة وكوثر المِخدع الخاص بجوليا، ضحكن كلهن معا بصخب طفولي وتعانقن وسقطن حوليّ... أمر دبّرنهن وكتمنه عني... توزّعن حولي، كوثر تحتي وجوليا فوقي وبهيجة عن يميني وسارّة عن شِمالي... وقلبنني وماج الخمر في عروقي وهاج ومادت بي سفينتي وغارت بين أريج اختلط وسيقان تنازعت وصدور استعرت وشفاه لثمت وخصور تراقصت وبطون صعدت ونزلت ومياه تفجرت وآهات زقزقت وأجسام استرخت وتناثرت... حفلة جماعية دبرتها نسوتي الأربعة ليلة هجرتهن بأجنتهن في اتجاهات الأرض الأربعة...

استأذنت ماريا وماسة وهابيلة من صاحبة المِخدع فأذنت لهن ثم لحق هابيل بهن، وتحلّقنا حول كوثر فابتسمت وقالت: يُوحى إليّ... ابتسمنا ووقفت ووقفنا وابتسمت ودارت حولها وقلّبت عينيها في عيوننا وقالت: ستة عشر وجها يكون محراب البهجة...

- لِمَ؟!
- كل كوكب وجه!
- اشرحي!

لمست راحتاها كتفيّ ماسة وقالت: وجهان لك أيتها الذكر الأنثى...

ضمتني أنا وماريا وقالت: وجه لكما أيها الواحد الذي لا ينفصم...

بهيجة وجنينها وجهان...

جوليا وجنينها وجهان...

سارّة وجنينها وجهان...

كوثر وجنينها وجهان...

الحمارة وجه...

هابيلة وهابيل وجهان...

صمتت برهة وجددت ابتسامتها وقالت:

الضيف الذي كان بضفائر وجه,,,

والضيف الذي كان بلحية ملونة بالحناء وجه...

صمتت وتمتمت كلاما بدا وكأنها حوار وجددت ابتسامتها وجددنا ابتساماتنا وتجددت نشوتها ونشوتنا وقالت:

وجها ماسة قبة تحت السماء من شطرين متلاحمين يصعد من مركزهما المشترك مئذنة عالية ينبثق من رأسها سهام من نور تنتثر في النور...

ويليها الوجه الموحد المفتوح على كل اتجاه...

ويليه بقية الوجوه المفتوحة على السماء فوقها وعلى البر والبحر تحتها وأمامها...

ويُبنى محراب البهجة من بلّور نقي صاف ومن غرف شفافة الجدران ويدور مع الأرض والسماوات وتحمله سفينة تسبح في نهر النور وله أبواب لا تغلق وتزيد أبوابه وغرفه كلما زاد الرواد ولا ممنوع من دخوله ولا من خروجه إنسان أو ملك أو جان أو طير أو سمك أو حيوان... الكل ضيوف مكرّمون والكل فيه يبتهجون ويمتلئون ويغنون ويرقصون ويتصلون ويصلّون...

رتّلت قلوبنا وأعيننا معا:

إبداع الحُلم والحِلم والعلْم والجدّ والسخاء والصبر وسلام أنت يا محراب البهجة ونور وحرية وحب ووئام وعدل وتسامح ورضا وإقبال وأزهار وإعمار وجمال وهناء وشباب وخلود وتجدد وسلامة وخير ورحم وسيع مطلق للعالمين...

حياة في جنة غيداء فيك وفي أكنافك هنا والآن يا محراب البهجة أنت، لا نار معك ولا مرضى ولا ظمأى ولا جوعى ولا آيسين ولا حزانى بائسين ضالين مكسورين ولا متحاربين ولا متباغضين ولا كارهين ولا خاملين ولا مظلمين ولا جاهلين ولا ظالمين ولا غالقين...

أنتَ أول طريق الإنسان القويم... أنت نبراس البناء والتعاون والرخاء والنماء والمشاع ووحدة الرجال والنساء والملل والألوان والأمم أنت الرجاء... أنت الخلاص والنعيم وأنت البقاء...

أنت قلب راية الحب البيضاء ونبض العقل المحب المبتهج نتعدد فيك وتحضننا بحنانك في رحابك ونقيمك في فضاء بيت المقدس نورا هاديا وكتابا مفتوحا ورسالة بكرا وإشراقا صادحا وطفولة بريئة سعيدة لاهية ونحرسك بالحب نحن وجند لا نراها وبك مجد الإنسان يقوم...

تفتحت الورود وفاح العبق منها ومنا وتبدد ظلام الليل ودنت النجوم واكتمل القمر ورفرف الحمام واهتزت الأغصان وطاب الثمر... وابني يا ماسة معك هابيلة

وهابيل محراب البهجة لا تعتدوا ولا تجوروا واجعلوه فاره القامة بهيّ الطلعة متقن الصناعة مثل أنثى فاتنة وفتى بديعا وتمثال جمال بألوان ناعمة تعزف موسيقى هادئة وتبث ألحانا ساحرة وازرعوا حوله الحدائق الغنّاء وانشروا عيون الماء والظلال ويسّروا ولا تعسّروا وهبوا الشراب والطعام لكل حاج ومستجير... محراب البهجة بيت الأمن والطمأنينة يكون... والاستمتاع بما دنا من أنعم ولبّى حاجة وطاب ولذّ وأصلح حق مشروع مصون... الدين الحرية... الدين حب وبهجة... النور دين الحق وللعالمين مباح... بهجة الحب شريعة جلية متدفقة لا يختلف عليها المؤمنون ولا يعسر فهمها على الباحثين ولا تنسد أبوابها دون الطالبين ولا يشقى بها الكافرون وينعم بها المقبلون ومفتوحة كل آن للمدبرين والغافلين ولا تفسد بتوالي الأزمان واختلاف المكان واللسان...

هبطنا ‘لى الحديقة، والتففنا حول ماسة وهابيل وهابيلة ورقصنا على لحن يعزفه حفيف أوراق الشجر وخرير جداول الماء...

- شنّفي أسماعنا بأغنية فيروز يا ماسة...

لأجلك يا مدينة الصلاة أصلّي

لأجلك يا بهيّة المساكن

يا زهرة المدائن

يا قدس يا قدس يا قدس

يا مدينة الصلاة أصلّي

عيوننا إليك ترحل كل يوم

ترحل كل يوم

تدور في أروقة المعابد

تعانق الكنائس القديمة

وتمسح الحزن عن المساجد

عيوننا إليك ترحل كل يوم

ترحل كل يوم

تدور في أروقة المعابد

تعانق الكنائس القديمة

وتمسح الحزن عن المساجد

يا ليلة الإسراء

يا درب من مرّوا إلى السماء

عيوننا إليك ترحل كلّ يوم

وإنّني أصلّي

الطفل في المغارة وأمه مريم وجهان يبكيان

الطفل في المغارة وأمه مريم وجهان يبكيان

يبكيان

لأجل من تشرّدوا

لأجل أطفال بلا منازل

لأجل من دافع وأُستُشهِد في المداخل

واستشهد السلام في وطن السلام

وسقط العدل على المداخل

سقط العدل سقط العدل

سقط العدل على المداخل

حين هوت مدينة القدس تراجع الحبّ

وفي قلوب الدنيا استوطنت الحرب

حين هوت مدينة القدس تراجع الحبّ

وفي قلوب الدنيا استوطنت الحرب

الطفل في المغارة وأمه مريم وجهان يبكيان

وإنني أصلّي

الغضب الساطع آتٍ

الغضب الساطع آتٍ

الغضب الساطع آتٍ

وأنا كلي ايمان

الغضب الساطع آتٍ

سأمر على الأحزان

وأنا كلي ايمان

(الغضب الساطع آتٍ)

سأمر على الأحزان

من كل طريق (آتٍ)

بجياد الرهبة (آتٍ)

من كل طريق (آتٍ)

بجياد الرهبة (آتٍ)

وكوجه الله الغامر (آتٍ آتٍ آتٍ)

الغضب الساطع آتٍ

وأنا كلي ايمان

الغضب الساطع آتٍ

سأمر على الأحزان

وأنا كلي ايمان

(الغضب الساطع آتٍ)

سأمر على الأحزان

من كل طريق (آتٍ)

بجياد الرهبة (آتٍ)

من كل طريق (آتٍ)

بجياد الرهبة (آتٍ)

وكوجه الله الغامر (آتٍ آتٍ آتٍ)

لن يقفل باب مدينتنا فأنا ذاهبة لأصلّي

سأدقّ على الأبواب وسأفتحها الأبواب

وستغسل يا نهر الأردن وجهي بمياه قدسية

وستمحو يا نهر الأردن آثار القدم الهمجية

الغضب الساطع (آتٍ)

بجياد الرهبة (آتٍ)

الغضب الساطع (آتٍ)

بجياد الرهبة (آتٍ)

وسيهزم وجه القوة

سيهزم وجه القوة

سيهزم وجه القوة

البيت لنا والقدس لنا

البيت لنا والقدس لنا

وبأيدينا سنعيد بهاء القدس

بأيدينا للقدس سلام

بأيدينا للقدس سلام

بأيدينا للقدس سلام

بأيدينا للقدس سلام

للقدس سلام (آتٍ)

للقدس سلام (آتٍ)

للقدس سلام (آتٍ آتٍ آتٍ)

انحدرت دموعنا وتعانقنا... صاحت ماريا:

راية الحب البيضاء الخفّاقة بقلبها النابض رسالة من محراب البهجة في بيت المقدس للأقربين والأبعدين: نحن في فلسطين مسلمين ويهودا ومسيحيين وعلمانيين وملحدين:

نحب الحياة ونريد العدل لنا كلنا ونريد السلامة والكرامة والسلام...

وأقبلت بوجهها على ماسة وهابيلة وهابيل وقالت بصوتها الواثق القوي الشجاع الرنيم: ارفعوا راية الحب البيضاء الخفاقة بقلبها النابض على سارية عالية تشق عنان السماء ترفرف فوق مئذنة محراب البهجة... أرُوا الدانين والقاصين وأبلغوهم أن نبوة إنسانية أولى نهضت من فلسطين الحب والعدل والسلام والبهجة!

التفتت جوليا وبهيجة وكوثر وسارة نحوي وقلن: اوصنا يا معلم يا نورنا يا كبيرنا وقلبنا وعقلنا وبهجة حبنا وهادي مسيرنا... فقلت:

تعلَمن اللغات والعادات وآداب العلاقات وأعلنّ عن هوياتكن وارفعن رايتنا وضعْن أحمالكنّ وازرعن الحب في كل حقل وخاطبوا الناس بما يعون ويشتهون ويقدرون وابعثوا الجمال في اللسان والألحان والقلوب والعقول والعيون والوجوه والشفاه والأكفّ والسواعد والسيقان والقعود والنوم والقيام والأقدام والإقبال والإدبار ولا تنازعن سلطانا ولا تخالفن معروفا وأصلحن لا تفسِدن ولا تفسَدن واجهرن بالحق بلين ورفق وحنان وابذلن وأطفئن الظمأ وأطعمن الجائع وواسين المكلوم وهبن منكن كل ذي طلب لا تؤذين ولا تردّن شوقا ولا تمنعن ولا تبخلن ولا تغلقن بابا ولا نافذة ولا تُظلِمن ولا تَظلُمن أنفسكن وغيركن واصدقن لا تكذبن إلا لإصلاح واجتهدن واجعلن الابتسامة التزاما كأنفاسكن فإذا نسيتموها فعدن إليها وزدنها وتغذين وارتوين واستمتعن بما شئتن من غير ضرر فالحرام ما ضرّ والحلال ما اشتهينا دون عدوان والحرية مقدسة مبجلة مشروعة مقدَّمة ولكن ببهجة حب متعاليات في النور ما استطعتن واسترخين وتريّضن وثابرن واصبرن واحفظن كرامتكن ودافعن عن كرامة كل نابض وجامد حيّ أو ميت وتفاءلن بخلوك آت وتفتّحن بالعلم واكسبن رزقكن من عملكن ولا تبتذلن ولا تكدسن المال واسْخِين بخير واصدحن بالغناء وتمايلن بالرقص ولا تتركن صلاتكن ولا تثرثرن وتواضعن

بوقار وأذِنّ بالحج إلى محراب البهجة في بيت المقدس وانشئن أينما حللتنّ جماعة ادعونها جماعة حق البهجة (ح ب) وارفعن فوقها رايتكن وأجرين حولها الجداول واغرسن الأشجار والأزهار والإعمار وفرّحن المرضى والأطفال والصبايا والفتيان والكبار وكبار الكبار والطير والحيوان... سألن: ما مبادئها؟ قالت ماريا:

· البهجة حق لكل فرد.. كما الجمال طبيعة الجميل

· بالحب والحكمة والصبر ندعو للبهجة وندافع عن حقنا فيها؛ نحن والخلق كافة

· الحكمة – معرفة وإرادة وعملا – هي التي تكشف النور الذي فينا وحولنا

· الحب ما بيننا هو تجسيد النور الذي فينا وما حولنا

· الحب شريعة البهجة التي هي الأصل والمعنى والشوق

· أما إذا كان الظمأ هنا؛ وهناك الرواء؛ فإن نار الظلامة تحرق.. تحرق!!

· بهجة الحب بالعدل تقوم.. والعدوان على حق البهجة عدوان على حق الله وعلى الخلق كافة

· أول العدل أن نحيا.. كلنا.. بالبهجة وفيها ولها

· البهجة جمال حريتنا.. هي مجدنا.. والذي يفقد الحرية في النور يفقد بهجته

· جمال حريتنا هو كرامتنا وضياء بناتنا وأبنائنا ونسائنا ورجالنا ولياليا ونهاراتنا

· البهجة هي الخير لنا.. فردا فردا.. ولنا معا؛ نحن أبناء الأم الواحدة

قالت ماسة:

· نحرث ونزرع ونصنع ونغني ونصلي ونجني ونحلم.. معا في النور.. بالحب.. بالعدل.. بحرية الجمال...

قلت:

· البهجة هذا هي... وهذه دعوتنا..

اشتعلت عيون النساء الأربعة، وتسارعت أنفاسهن، وفتحت ذراعيّ فتنازعن بينهن مَن تفوز أولا بعناقي، واقترحت هابيلة وأيّدها هابيل أن يصطففن بترتيب أقدميتهن فتقدمت بهيجة فلم ترضَ كوثر وسارة وجوليا وجذبنها من شعرها وقلن لكوثر

نزّلي وحيا يحكم بيننا، فأبت واندفعت نحوي فجذبنها من شعرها وقلن لجوليا نزّلي أنت وحيا يحكم بيننا، فأبت واندفعت نحوي، فجذبنها من شعرها، وقالت سارّة: احكمي يا ماريا! فصاحت ماريا بعصبية غيرة أنثوية حادة: كفاكن هراءا أيتها الشبقات! وتركتنا، فقلت احكمي يا ماسة! فصفّتهن بين يديّ كما اقترحت هابيلة... وعانقني وعانقتهن واحدة تلو الأخرى، بشهوة منفلتة وعلكت شفاههن وهبطتُ إلى نهودهن وتحسست راحتاي ظهورهن وهبطتْ إلى أردافهن وعلا الأنين الفاضح وسال الماء وزدن اشتهاءا وضما وضغطا حتى أُنهِكن وسقطن كل على مقعد وكانت ماريا تراقب من بعيد فقالت تخاطب الصغار بصوت مغيظ دوّى في الفضاء: ظمأ هذا العجوز المتصابي لا يرتوي من رضاب الشفاه العاهرة! أفٍّ أفٌّ، متى ترحلن!

١٠

هدأت الريح وغاض الجمر تحت السطح واجتمعنا حول مائدة الطعام وعادت الابتسامات وابتهجت القلوب ورفرفت علينا راية الحب البيضاء من جديد وتبادلنا الفكاهات وقهقهنا بصفاء نفوس ونقاء عيون...

اعتدلت ماسة على كرسيها وارتسمت معالم الجدية والوقار في سحنتها وقالت: لا تزال مهمتى أنا وهابيل وهابيلة بحاجة لمزيد من التبصر والإعداد... قالت بهيجة: استوحي ربتك يا كوثر! هزت كوثر رأسها واعتذرت... قالت سارْة: استوحي ربتك يا جوليا! قالت ماسة: ينبغي أن لا تبقى قلوبنا فارغة وعقولنا معطلة! سألت سارّة: ماذا تعنين؟!

قالت ماسة، وأنا وأمها نحدق في عينيها: الوحي يصعد منا، ولا يأتي من خارجنا ولا يكشف ما لا نعرفه ولا يضيف إلينا جديدا لم نألفه، وكل ما يفعله هو أنه يعيد تنظيم ما نعي بعقلنا الناشط وما يسجله عقلنا الباطن، ويُلبسه حلّة جديدة، وهو إقدام شجاع من حالمين عظام النفوس مبادرين أقوياء الإرادة والعزيمة والتأليف بين الوقائع والحاجات والتكيف السليم مع متغيرات الزمان والمكان ونسخ أحكام وفرض غيرها أنسب لإطالة الولاء وتوسيع الفتوح والسلطات وتنويع الاجتهادات والتأويلات...!

صفقنا وقالت بهيجة باندهاش وإعجاب وافتخار: أيتها الطفلة بميزان تعداد السنين، مِن أين لك هذا العلم اللدنّيّ الراسخ العميق الصريح الغزير القوي السويّ المتين؟!

أشارت إليّ وإلى أمها ماريا بعينيها المشرقتين وقالت: نهلت من معينهما السحيق...!

اضافت: أنا لم أبدأ بتلقيح بويضة من أمي من حيوان منوي من أبي... أنا بنت البهجة... الأجنة المحمولة في بطونكن يا بهيجة ويا سارة ويا جوليا ويا كوثر كلهن بنات البهجة مثلي، بويضاتكن مثل بويضة أمي وحيوانات أبي المنوية مخلوقات من بهجة... البهجة هي الخالقة، لكن، البهجة الحق وحدها هي الخالقة... هي الخلق والخالق...

قالت جوليا: أجل يا ماسة؛ هناك بهجة زائفة، هذه عقيمة!

سألت سارّة: كيف نميز البهجة الخالقة من البهجة الزائفة؟!

ردت ماريا: بهجة الحب وحدها هي الصادقة الخالقة...

قالت كوثر: أُوحِي إليّ إني أنا الحرية المبتهجة بالحب فآمنوا بي وأحبوا الحياة وأحبوني أنا أحبكم فابتهجوا...

قالت هابيل: الحياة حرية مبتهجة بالحب في النور...

قالت هابيلة: والحياة إيمان وإرادة...

قالت ماسة: خُلقت حين توحدت إرادة أمي المحبة المبتهجة الحرة مع إرادة أبي المحبة المبتهجة الحرة...

قلت أنا وماريا معا: خُلقتِ في النور ومنه يا ماسة... هيا أيها المبعوثون في النور انطلقوا، المطايا تنتظركم... واذكروا أن في الدروب شياطين ظلام تتربص بكم، وسترميكم بسهامها المسمومة؛ لكن سهامها مثلومة، فلا تخشوها وسيكون النصر لكم ما استمسكتم بالنور في عقول قلوبكم وبالحب المبتهج وبالحرية...

- هل عقولنا في قلوبنا؟!
- أجل!
- هل عقولنا في قلوبنا التي وراء عظام صدورنا؟!
- كلا؛ عقل المحب في قلب الحياة...
- وعقل الكاره يقتل الحياة!
- بهجة الحب إكسير الحياة...
- وبدون حب مبتهج تفقد الحياة معناها وقيمتها، وتصير كابوسا ثقيلا...
- حياتنا في فلسطين، عربا وإسرائيليين، كابوس تقيل وقاتل!
- بهجة الحب جوهرة الحكمة سيدة الدواء...
- بهجة الحب نور حر خالد...
- المحبون المبتهجون في النور وبه أحرار من الفناء خالدون...
- أوصيكم يا رسل البهجة أن تجددوا إيمانكم وإرادة الحياة في قلوبكم وعقولكم كل آن... فنحن مجبولون على النسيان ونسيان النور فعل من الشيطان والشياطين لا تغفل ولا تنسى ولا تمل ولا تكل فاحرصوا وحاذروا من مكرها وقاوموها بذكر الحب وصلاة البهجة وعمل الخير وإيمانكم بالنصر وإرادة الحياة... واذكروا أن نور النهار يبدأ يسيرا ثم يقوى وينتشر...

- واذكروا أن الظلام يتسلل بعدما يشيخ النهار فلا تتركوا قلوب عقولكم تشيخ فإذا شاخت قلوب عقولكم تشيخ أجسامكم ويلتهمكم الموت وتفنون!
- بهجة الحب خالقة خالدة، فلا تضلوا والتزموا طريقها...
- طريق المجد طريقها...
- المجد إعمار وإزهار يا إمامتنا يا جوليا...
- أنت الحضن والحنان يا أمّ ماسة...

قلت: دقّ ناقوس العمل، هيا انطلقوا... ولا تنسوا ابتعاث الأمل... ابتسموا وجددوا إيمانكم واشحنوا إراداتكم وانطلقوا...

وخلا بيت الحب في يافا لي أنا وماريا...

أنا كنعاني، من ذرية جدي باني أول مدينة في تاريخ الإنسان... أريحا... مدينة النخيل والقمر... الكنعانيون كانوا هم أول من استوطن في فلسطين وأقاموا حضارة وبعثوا الحياة فيها؛ الصهاينة الغاصبون هم آخر من غزا فلسطين وقتلوا الحب والبهجة والحياة فيها... تقول التوراة إن أول غزو يهودي لفلسطين، كان ضد أريحا، بقيادة يوشع، ولكن أبحاث التنقيب لم تكشف دليلا يؤيد مزاعم يهود التوراة، ويقول المؤرخون اليهود الصهاينة الجدد، إن بحوث الحفريات لا تؤيد ادعاء اليهود بحقهم التاريخي الإلهي في أرض فلسطين، وتؤيد أن أجدادي بنو أريحا...

ماريا ابنة ماريا اليهودية، من جد مصري قديم، عاش في زمن خوفو، باني هرم مصر الأكبر، إحدى عجائب الزمان السبع، والوحيدة الباقية منها... نجا هرم خوفو وسواه من معالم الحضارة المصرية المؤكدة، من الفناء، لتشهد أن يهود التوراة الأقدمون لم يوجدوا في التاريخ ولكنهم موجودون في الأوهام والأضاليل... في بلاد السبي في بابل، كتب اليهود لهم تاريخا قديما ربطهم بأرض فلسطين، منذ إبراهيم، نسجوه من أوهامهم ورغبات ضياعهم!

- يؤكد قرآن المسلمين أن التوراة محرّفة، والمؤرخون الإسرائيليون المعاصرون لا يسلمون بصحة قصص التوراة عن أحداث مزعومة وقعت قبل السبي البابلي لليهود حوالي القرن السابع قبل الميلاد!
- وحضارة مصر الفرعونية تخلو من أي دليل على أن اليهود عاشوا في فلسطين في العهود التي اخترعتها قصص التوراة القديمة!
- يؤكد فحصك الجيني يا ماريا أنك مزيج متناسق من مصر الفرعونية وبلاد العرب وبابل العراقية...

- طابق فحصي الجيني ما تسجله وثيقة تسلسلي من جد عاش في مصر الفرعونية ثم انتقل إلى الجزيرة العربية ثم إلى بابل في عصر حمورابي صاحب الشريعة المكتوبة الأولى على مسلة لا تزال سليمة مقروءة جلية وتؤكد أنها سبقت السبي اليهودي الأول وكتابة التوراة!
- ثم انتقل أجدادكِ اللاحقون إلى أريحا...
- زفي أريحا، عانقت جدتي النخيل جدك القمر...
- القمر إلاه عربي قديم!
- ههها... جدتي أحبت إلاها وأنجبتني وأنجبتك وطاب الثمر...!
- أنا وأنت وماسة أبناء إلاه محب...!
- ومبتهج...
- المحب الحر نور مبتهج!
- تحررت جدتي من تقاليد عائلتها اليهودية وأحبت جدك وعانقته في النور قبل أن يعيدوها للقيد والظلام!
- وكيف نجت من قيدها وظلام عشيرتها؟!
- تسلل جدك القمر من نافذة روحها وحملها والطغاة في سكرة موتهم يعمهون!
- وها أنتِ نخيل حبي,,, ونشوة روحي وعقل قلبي... وحريتي وبهجة نوري... وسلامي...
- وها أنت حامل راية الحب البيضاء حامل القمر... حامل دعوة السلام العادل المبتهج...
- وابنة حبنا تبني في فضاء الحياة الكريمة محراب البهجة للعالمين...
- تبنيه بعقل الحب المبتهج...
- تبنيه ومعها هابيلة وهابيل بقلب النور الحر المحب المبتهج...
- محراب البهجة منارة السلام...
- محراب البهجة بيت الناس أجمعين...
- فلسطين وطن للناس أجمعين...
- فلسطين وطن الحرية المبتهجة بالنور وفيه...
- فلسطين وطن الإنسان الإنسان...
- هيا بنا يا ماريا إلى مخدع حبنا الممدود تحت الشمس الحنونة... أشتهيك...
- ...!

أسست ماريا منتدى الحرية في بيت الإمامة المبعوثة جوليا... العضوية مجانية مفتوحة لكل من هبّ ودبّ... سأل الوافدون من كل حدب وصوب: ما هي مبادئ منتدى الحرية؟! أجابت ماريا بحب مبتهج: اسمه يفصح عنه... وأضمرت في نفسها:

سأتحدث عن ذلك في لقاء مفتوح قريب... تعي ماريا، أن نوايا شريرة كثيرة ستعمل على إحباط مشروعها، ومشروع ابنتها في بيت المقدس!

- راية الحب البيضاء قوية وتستطيع أشرعتها الصمود في وجه العواصف العاتية الجاهلة المعادية العمياء الباغية...

عادت ماريا لنشاطها المباشر بعد انقطاع طويل، منذ بدأت الحرب ضدي وضدها ونحن بين أهلي في معسكر جباليا...

- هناك أُضطهدنا وحوربنا وهنا نُضطهد ونُحارب!
- لا يختلف الجهل عن الظلم!
- ولا يختلف المقهور عن القاهر!
- هناك تُنتهك حرية الإنسان وهنا أيضا!
- راية الحب البيضاء لا تنهزم...
- الحق معنا، ولن نيأس...
- سنبقى الأعْلون...
- لن نخذل الإنسان ولا بحرنا ولا سماءنا ولا ثرانا...
- غدا موعدنا...
- هنا على شاطئ عروس فلسطيننا المترامي في الهواء الطلق وعلى هدير البحر نعقد ملتقانا الأول... الحرية حق مقدس...
- الحرية ربة ودين...

افتتحت ماريا الملتقى بقصيدة محمود درويش:

عَلَى هَذِهِ الأَرْض مَا يَسْتَحِقُّ الحَياةْ: تَرَدُّدُ إبريلَ, رَائِحَةُ الخُبْزِ فِي

الفجْرِ، آراءُ امْرأَةٍ فِي الرِّجالِ، كِتَابَاتُ أَسْخِيْلِيوس، أوَّلُ الحُبِّ، عشبٌ

عَلَى حجرٍ، أُمَّهاتٌ تَقِفْنَ عَلَى خَيْطِ نايٍ, وخوفُ الغُزَاةِ مِنَ الذِّكْرياتْ.

عَلَى هَذِهِ الأرْض ما يَسْتَحِقُّ الحَيَاةْ: نِهَايَةُ أَيلُولَ، سَيِّدَةٌ تترُكُ

الأَرْبَعِينَ بِكَامِلِ مشْمِشِهَا, ساعَةُ الشَّمْسِ فِي السَّجْنِ، غَيْمٌ يُقَلِّدُ سِرْباً مِنَ

الكَائِنَاتِ، هُتَافَاتُ شَعْبٍ لِمَنْ يَصْعَدُونَ إلى حَتْفِهِمْ بَاسِمينَ, وَخَوْفُ

الطُّغَاةِ مِنَ الأُغْنِيَاتْ.

عَلَى هَذِهِ الأرْضِ مَا يَسْتَحِقُّ الحَيَاةْ: عَلَى هَذِهِ الأرضِ سَيَّدَةُ الأُرْضِ، أُمُّ البِدَايَاتِ أُمَّ النِّهَايَاتِ. كَانَتْ تُسَمَّى فِلِسْطِين. صَارَتْ تُسَمَّى فلسْطِين. سَيِّدَتي: أَستحِقُّ، لأنَّكِ سيِّدَتِي، أَسْتَحِقُّ الحَيَاةْ.

زمجر البحر واشتعل البر بأياد تلّوح بالأكفّ وغيرها يصفق وثالثة تلّوح بالقبضات وحناجر تهتف للحرية وثانية تتوعد بالويل والهلاك وثالثة تزغرد!

رفعت ماريا فوق كتفيّ وقالت بحماس مطمئن واثق:

السلام عليكم ولكم...

اصغِ إليّ بعقل حر محب مبتهج منفتح أيها الإنسان؛ بدأ كل منا حياته بصياح أعلن به عن حريته... أجل، ولدنا أحرارا، كلنا ولدنا أحرارا لم يستثنَ منا أحد، لا يهودي ولا مسيحي ولا مسلم ولا ملحدا، ولا غاصب ولا مغصوب ولا فقير ولا غنيا... لم يكن أي منا يهوديا أو مسيحيا أو مسلما أو ملحدا أو غاصبا أو مغصوبا أو فقيرنا أو غنيا... ولكنني ولدتُ أنا وهذا الكبير رافعي، من جد كنعاني وجدة يهودية، هذا قدر لم نختره، اختارته ربتنا لنا ونرضى عنه لأنفسنا وندافع عنه دفاعنا عن حياتنا... حينما دخل أجدادنا الأوائل أرض فلسطين، كانت خالية فلم يغتصبوا حقا وصنعوا حياة ولم ينهبوا ولم يقتلوا... ومن قلب ثرى كنعان وتحت سماءها، صنع فريق من أجدادنا دينا لهم وسمّوه اليهودية... أنا من أجدادي اليهود الذين عاشوا هنا مع إخوتنا الباقين من الكنعانيين ومن شعوب أخرى جاوروا شعبها الأول فحضنتهم بلادي وأظلتهم سمائي... عشنا جميعنا معا... الأرض لله يا سادة، فلا تصدقوا أنه وعد أحدا بحق يسلب به حق خلقه الآخرين، أما إبراهيم فأب بالروح لليهودي والمسيحي والمسلم... الروح من أمر الله تهب الحياة لكل مؤمن بها عامل بحب لكل خلقها... أما أنتم أيها الصهاينة فقد غزوتم بلادي وأعدمتم أبي وسلبتم حريتي وقتلتم حبي ومنعتم بهجتي... السلام على أرض السلام...

ونزلت عن كتفيّ وعانقتني وعانقها كثيرون جدا، وكثيرون جدا طأطأوا رؤوسهم وولوا مدبرين!

- أنتِ كافرة، وعد الله جدنا إسحاق بأرض اللبن والعسل فلسطين!
- أضلك الخراصون أيها الفتى الغرّ!
- أنتِ فتاة سمجة!

- أنتَ غبيّ وقح، اخلع قلنسوتك السوداء وقُصّ ضفيرتيك المتدليتين على أذنيك أيها الأصم واستمتع بحياتك مع فتاة تحيها وتحبك!
- أرجوكم أيتها السيدات وأيها السادة، جادلوا بالتي هي أحسن...
- لسانك أدانك يا ماريا؛ كوني شجاعة واعترفي أنك كفرتِ بدين أجدادك الحق وأنك اتبعت النبي العربي الأمي الدعيّ المتوحش سفاك الدم المجرم قاتل اليهود في زمنه وسابي نسائهم وأطفالهم وسارق ممتلكاتهم!
- اخرس أيها القذر الجبان وانصرف من هنا، هنا يافا، هيا انصرف قبل أن أفقد حيائي وأنزع بنطالك عن ردفيك الشهيتين وأُذِل رجولتك!
- لوطيون همجيون، ستلوطون بالغلمان الحسان بعد مماتكم، دينكم كاذب وغلمانكم الحسان وحواريكم تشهد إن دينكم فاسد وإن نبيكم كاذب!
- خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد سوف يعود!
- إرهابيون، تحلمون بتدمير دولة إسرائيل وإلقائنا للحيتان وأسماك القرش!
- وأنتِ يا ماريا كفرت بدين أجدادك وكما فعلت أمّك قبلك زنيت مع كنعاني زان وإرهابي حيوان يدبر لهزيمة إسرائيل!
- أنت الحيوان يا ابن الحيوانة والحيوان! اخرس وإلا طرحتك أرضا وبلْت في أنفك وفمك!
- أنت الحيوان وأجدادك حيوانات متوحشة!
- أنتم أيها الكنعانيون كلاب كما وصفكم عيسى!
- أنتم قردة وخنازير!
- نحن شعب الله المختار!
- كلا؛ نحن خير أمة أخرجا للناس، أما أنتم فقتلة الأنبياء والمرسلين!
- أطالب حكومتي بطردكم وتنظيف أرض الوعد منكم أيها الأوساخ المتخلفون!
- أنت وحكومتك تحت نعالنا!
- أما من صوت رشيد أيتها السيدات وأيها السادة؛ كفى هراء أيها الحمقى؟!
- فضّي الاجتماع يا ماريا قبل أن أقبض عليك وعلى زوجك وأتهمكما بالتحريض وتهديد أمن إسرائيل!
- مهلا سيدي الضابط، أتفق معك أن من الحكمة أن نفضّ الاجتماع، وإني أرى أنه تقدم بنا خطوة للأمام، قد تكون قصيرة وهزيلة، لكننا نسير على أقدامنا طول الحياة، بعد أن نبدأ خطوتنا الأولى القصيرة وغير الراسخة، لقد تبادل المتخاصمون اتهامات صيغت بلغة بشعة، أنا أؤمن أن في كل بشاعة جمال، وفي كل باطل حق! تتساءلون الآن: أين الجمال في بشاعة المشاعر والتعابير؟! وأين الحق في يراه الطرف الآخر أباطيلاً؟! لن يسعفني الوقت الآن لتبيان ما أخفاه كل جانب عن نفسه وعن خصمه، لكني سأشير إلى

بعض ما أثير... سأبدأ بالكشف عن وجه الجمال وراء بشاعات ما سمعناه الليلة؛ هذا المنتدى يحمل رسالة صريحة يلخصها اسمه: منتدى الحرية... قاعدة الحرية هي أن نحرر أنفسنا من كبت المشاعر، أيا كانت هذه المشاعر، يعالج الطبيب النفسي مرضاه بتحريرهم من مشاعرهم المكبوتة في مناطق عقولهم المغلقة المظلمة، الحرية علاج، مثلها مثل الحب ومثل البهجة، فالحرية حب وبهجة، والحب حرية مبتهجة، والبهجة حرية محبة... والظلامية مرض والنور علاج، والحرية والحب والبهجة خروج من الظلمات إلى النور، وكل دين نور ما لم ينغلق في صندوق ملقى وراء الشمس... في الصناديق المغلقة، يتصور كل طرف أنه هو شعب الله، وحين نفتح صناديقنا، نوقن أن الله كرم الإنسان، واتخذه خليفة له في الأرض، خلافة إعمار وإزهار، الله يزن الناس بميزان صلاحهم، لا بميزان سواه... والآن، دعوني أتساءل: هل كان النبي محمد مجرما وقاتلا؟! عندما أمرني الضابط بفضّ الاجتماع، فقد تذرع بسبب ردّه إلى التزامه بالحفاظ على أمن دولة إسرائيل، النبي محمد كان قائد أمة لا تزال في مهدها، تعاهد مع يهود يثرب وضمن لهم أمنهم، لكنهم خانوه وتحالفوا مع أعدائه ومحاربيه، واحتكم إلى الشريعة التوراتية، ودافع عن أمنه وأمن دعوته، وذبح الرجال وأبقى على النساء والأطفال، وأكرم سيدة القوم وتزوجها، قيل أنها دست له السمّ ومات به بعد زمان، إن صح هذا، فقد ثأر اليهود من المسلمين، والتاريخ يطوي القديم، ولا ننسى أن محمدا مات وسلاحه مرهون عند يهودي، ولا ينبغي أن نغفل عن ذكر وقوفه لجنازة مرت به فوقف احتراما لإنسانية المتوفى دون أن يعرف دينه، فقيل إن المتوفى يهودي فواصل تقديم احترامه للإنسان، دون التفات إلى دينه! وقيل إن المسيح وصف أجدادي الكنعانيين بأنهم كلاب، ولكنه وصف أهله اليهود، في الحدث نفسه، بالخراف الضالة، ثو هو عاد فلبى استغاثة الكنعانية ولبى طلبها وشفيت ابنتها من صرعها، كما يحكي كتاب المسيحيين... أما وصف العرب المحمديين باللوطيين في الدنيا وبعد الممات، فاللواط في الدنيا سلوك لا يُستثنى منه نوع من الأحياء ديرا وحيوانا وإنسانا، أما بعد الممات، فلم يصرح القرآن ولا أحاديث النبي، بما يؤيد المزاعم التي تتهم أهل الجنة من المسلمين بأن اللواط مباح في ضيافة الله العلي الكريم... اتخذ النبي محمد وصحابته قبلة اليهود قبلة لهم قبل تحولهم إلى بيت إبراهيم جد العرب والمسلمين، وبدأ الخليفة عمر بن الخطاب العهد الإسلامي في فلسطين بالصلاة تحية للمسجد في محراب الملك اليهودي القديم داود النبي عند المسلمين، ونظف بردائه كما قيل، الصخرة المقدسة من قمامة كانت تحجبها منذ اتخذها الرومان مكبا لأوساخهم...

اذكروا المحاسن أيتها السيدات وأيها السادة واقلعوا الشوك من عيونكم، وحين تتحاورون بينكم، اخرجوا من صناديقكم المغلقة وافتحوا قلوبكم وعقولكم بالحب والبهجة وانعموا بالحياة معا، الأرض لله وهبها للناس معا، جُبلنا منها وعليها نحيا معا... إن الحياة نور يخرجنا من ظلام العدم وحرية وحب وبهجة وكرامة ووئام وسلام... أما ما أصابني أنا وزوجي وأمي وأبي، من أذى، فإني مسامحة والمسامح كريم... وزوجي كنعاني كريم، وأمي يهودية كنعانية كريمة، وأبي شهيد كنعاني كريم... وشعبي فلسطينيين ويهودا كنعاني عربي كريم، ووطني كنعاني عربي إنساني كريم... كل إنسان يا سيداتي وسادتي حر كريم... وإلى لقاء جديد... ونور جديد... وحرية متجددة... من زوجي ومني أهديكم قبلات قلبي الأخضر الأبيض، ويقول لكم زوجي، وأقول لكم: أحبكم... وقريبا ستهتدون وتقدسون الحرية لكم ولنا وللخلق أجمعين، إني واثقة أنكم ستؤمنون براية الحب البيضاء وستنعمون بحياة البهجة الحق والعدل والوئام والأمن والسلام... دمتم بخير طيبين سالمين أعزة كراما عاطرين هانئين...

حضر الاجتماع صحافيون كثيرون، لكن أجهزة الإعلام الإسرائيلية كلها، تجاهلته!

١١

استضافت مائدة إفطارنا أنا و ماريا، المفتوحة تحت السماء بين أشجار حديقة بيت جوليا الحب، صحفية إسرائيلية وفنانا وحاخاما، ثم انضمّ إلينا قسيس وشيخ دين مسلم... المائدة مستديرة عليها قلل الماء وأطباق الزيتون والزعتر والحمص والفول والسلاطة الخضراء والليمون وقرون الفلفل الأحمر الحار المجفف وخبز الذرة وإبريق زجاجي كبير مملوء بلبن الماعز الرائب... وفاكهة طيبة...

قال الشيخ: وفاكهة وأبّاً...

قال القسيس: الفاكهة نعرفها...!

سألت الصحافية: ما الأب يا مولانا؟!

ناولها الشيخ تفاحة حمراء وسكينا وقال: التفاح يزيد جمال الحسناوات! وقهقه... وغازلتها عيناه!

كان الشيخ والحاخام يجلسان متجاورين، اقتربت خنزيرة صغيرة وجروة وقفزت الكلبة على حجر الحاخام وقفزت الجروة على حجر الشيخ ولعبتها... قفز الحاخام والشيخ عن مقعديهما وهما يلعنان ويستعيذان... التقطت الصحافية صورا لهما، وسألت القسيس: لماذا وصف عيسى الكنعانيين بالكلاب؟! ردّ القسيس: ما جدوى سؤالك؟! أضاف: اسألي الحاخام: لماذا اتهم اليهود القديسة مريم البتول بالزنا مع يوسف النجار، وقالوا: عيسى ابن زنا، واسأليه: لماذا حرضوا حاكما كافرا على صلبه؟! قال الحاخام: ها أنا أمامك أيها الشيخ، هل تراني قردا أو خنزيرا؟!

غمس الشيخ لقمة في طبق الزيت وقال: والتين والزيتون وطور سينين!

قالت ماريا: وهذا البلد غير أمين!

توقف الشيخ عن مضغ الطعام وحدق في عينيّ ماريا وقال بحدة: لماذا تحرفين كلام رب العالمين؟!

قال الفنان: الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء...

التفت القسيس والحاخام للفنان وسألاه معا: ما دينك؟!

عزفت الحديقة من زقزقة عصافيرها وحفيف أوراقها وأريج أزهارها ونسيم صباحها لحنا بكرا... دندن الفنان بصوت عميق وشجيّ مبتهج، كلمات ابن عربي:

ألا يا حمامات الأراكة والبان * ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني
ترفقن لا تظهرن بالنوح والبكا * خفي صباباتي ومكنون أحزاني
أطارحها عند الأصيل وبالضحى * بحنة مشتاق وأنة هيمان
تناوحت الأرواح في غيضة الغضا * فمالت بأفنان عليّ، فأفناني
وجاءت من الشوق المبرّح والجوى * ومن طُرَف البلوى إلى بأفنان
فمن لي بجمع والمحصَّب من مِنى * ومن لى بذات الأثل من لي بنعمان
تطوف بقلبى ساعة بعد ساعة * لوجد وتبريح وتلثم أركاني
كما طاف خير الرسل بالكعبة التي * يقول دليل العقل فيها بنقصان
وقبّل أحجارا بها وهو ناطق * وأين مقام البيت من قدر إنسان
فكم عهدت أن لا تحول وأقسمت * وليس لمخضوب وفاء بأيمان
ومن عجب الأشياء ظبي مبرقع * يشير بعناب، ويومي بأجفان
ومرعاه ما بين الترائب والحشا * ويا عجبا من روضة وسط نيران
لقد صار قلبى قابلاً كل صورة * فمرعىً لغزلانٍ، ودير لرهبانِ
وبيتٌ لأوثانٍ، وكعبة طائفٍ * وألواح توراةٍ، ومصحف قرآنِ
أدين بدين الحب أنَّى توجهتْ * ركائبه، فالحب ديني وإيماني

خرج الحاخام والقسيس والشيخ قبل أن ينتهي الفنان...

أقبلت الصحافية على ماريا وسألتها: ما الحل؟!

قالت ماريا بحزم وثقة ووقار: الحرية... الحرية...

قالت الصحافية: إسرائيل واحة الديمقراطية، والديمقراطية تعادل الحرية!

قالت ماريا: أنتِ مضلَّلة!

- ماذا تعنين؟!
- عنصرية وديموقراطية لا يجتمعان... اغتصاب وحرية لا يجتمعان!
- قانوننا الأساسي يحمي الديمقراطية والحرية!
- من أين هاجرت عائلتك إلى هنا؟!
- ما علاقة ذلك بموضوعنا؟!

- يحصل كل مهاجر من أي بلدان العالم، يزعم أنه من أمّ يهودية، وعلى الفور، على حق المواطنة في دولة إسرائيل، بحكم قانون سنّه كيان غاصب، يحرم صاحب الحق التاريخي الشرعي من حق العودة إلى بيته وحقله بعد أن أجبرته قوة الاحتلال الغاشمة القاتلة على الفرار منها طلبا للحياة!
- هاجروا أوطانهم؛ ألا يؤمن الفلسطينيون بالقومية العربية وبالأخوة الإسلامية؟!
- بلا يؤمنون؛ لكنه إيمان لا ينفي حقهم في كل أرض فلسطين...
- وأين نذهب نحن؛ سترموننا غذاء للحيتان والقروش؟!
- كلا، أنت هنا في بيت الحب وعلى مائدة الحرية...
- حسنا... حسنا... هاتوا إذن نمارس الحرية والحب الآن,,, هيا نرقص...

خلعت معطفها وحذائيها، وقفزت فوق المائدة ورقصت بمجون... وطافت حول المائدة حيوانات الحديقة ومأمأ المعيز وماءت القطط وعوت الجراء وخنخنت الخنازير وغرّدت العصافير وهدل الحمام وأرتفع خرير الماء وهدير البحر... وكان الثلاثة الغاضبون قد عادوا يهرولون وصعدوا على المائدة ورقصوا بمجون حتى فقدوا توازنهم فسقطوا على الأرض ثم نهضوا وأصلحوا هندامهم والتقطوا ما هوى عن رؤوسهم واستغفروا وانصرفوا...

كنتُ أنا وماريا نجمع قمامة الحديقة وسمعنا لعنات الشيخ والقسيس والحاخام على الحب والمجون والرقص والحرية والعلم والكفار وجنود الشياطين!

التفتت الصحافية إلى الفنان وهما لا يزالان يرقصان وقالت له: هيا اصدح بأغنية عبرية عربية اللحن والكلمات... ضمها وغنيا معا... انضممنا إليها... وغنينا معهما... وغنت الأرض وما أقلّت والبحر وما احتوت والسماء وما أظلّت...

قلبي معك

طلبت فرصة اخرى

لأنسى كل شيء

فالليلة لم تنتهي بعد

وخفت ان اسأل

وكيف عرفت دائماً

انه لا يوجد نهاية لهذا

لا يوجد فرصة للتخلي

عن املنا

الذي حلمنا به في الليالي

استمرينا وعرفنا

لا يوجد مستحيل بعد الآن

والعالم حولنا

يستمر في العناد

ويلعب بالماء والنار

قلبي معاك... اشتقنا إليك

في كل يوم قلت لك

يا نور عيني أتحبني

هل انت معي... اليوم وغداً

سنعيش حلماً واقعياً

لك ولي

قريباً او بعيداً... مع المر والحلو

والصباح عندما يأتي

دعنا ننظر إلى الغد

والشمس سوف تخبرني

لم يفت الأوان بعد

وفي اعماق قلوبنا

حافظنا على الوعد

وسأذهب الطريق كله معك

وعاد الشيخ والقسيس والحاخام وانضموا إلينا، وخلعوا ثيابهم، ورقصوا بوقار وسكينة وقالوا: إنّا نشهد أن الله حب مبتهج ونور وحرية...

قلت أنا وماريا: علم وسلامة ورخاء ونماء وبقاء وعدل ووئام وسلام...

واستضاءت قلوبنا وابتهجت عقولنا واشرقت عيوننا وتعانقنا... ورفعنا هاماتنا وتشابكت ايادينا وهتفنا معنا: راية الحب البيضاء مجد الإنسان...

- ما اسمك ايتها الصديقة؟
- أنا سَميّة المغنية التي رقصنا على ألحانها...
- تعني نسرين؛ الفلسطينية التي تركت الإسلام واعتنقت الديانة اليهودية وتزوجت إسرائيليا بعد قصة حب طويلة!
- الحب يجمع القلوب ويحررنا من صناديقنا المظلمة المغلقة... هذه رسالة راية الحب البيضاء...
- هل ستقولين شيئا عنا؛ الإعلام في فلسطين، العربي والعبري، متواطئ معا على حجب صوتنا ومحاصرتنا وقتلنا بسلاح الصمت الغاشم؛ لماذا يا نسرين؟!
- الإعلام في جميع أنحاء الأرض، مسيس، يخدم الممول، أو السلطة الحاكمة، ولا يملك حريته!
- ظننا أن الحرية امتلكت حريتها بعدما حققت التكنولوجيا تقدمها الهائل في تقنيات التواصل الإليكتروني!
- في غياب تقدم الروح لن يفتح التقدم التكنولوجي آفاقا حقيقية أمام تقدم الإنسان!
- نحن الآن في عام ٢٠٢١م، التغول الرأسمالي أصبح مسعورا ومخيفا، الشركات الرأسمالية عابرة القارات، خطر يهدد حرية الإنسان ولا يقل عن خطر صواريخ الدمار عابرة القارات!
- صواريخ الدمار الشامل أسلحة تخدم الرأسمالية الجائرة؛ العالم مقسوم إلى قسمين: قلة تزداد تكديسا للأموال في حساباتها البنكية، وكثرة ساحقة تخدم القلة الجائرة، مقابل لقمة عيش مغمسه بالهوان والشقاء!
- هل لدى راية الحب البيضاء رؤيا وخطة عملية لإنقاذ الإنسانية من خطر متفاقم يدفعنا نحو الانتحار العالمي القسري؟!

- إلى أين تأخذينني؟!
- إلى منزلي في تل أبيب!

كنت قد خرجت أنا ونسرين، وسرنا على شاطئ يافا، متجهين إلى الشمال، متشابكي الذراعين، كتفي بكتفها، ترددتُ برهة: واصل مسيرك، افتح الحصن المغلق بقوة إيمانك، الخير موجود في كل إنسان، الانغلاق مرض روحي، العلاج روحي...

- حسنا، امضي قُدما...
- لم تجب على سؤالي!
- لدينا رؤيا: نؤمن أن الله حرية، لا تسمح طبيعته أن يكون غير ذلك، ونؤمن أن حريته حب، الحرية لا تسمح بغير ذلك، ونؤمن أن حرية الحب بهجة، الحب لا يسمح بغير ذلك، ونؤمن أن الحرية والحب والبهجة سلام، لا تسمح حرية الحب المبتهجة بغير ذلك، ونؤمن أن الحرية والحب والبهجة والسلام هي نور الله,,, الله نور وحرية وحب وبهجة وسلام، ما خالف ذلك، ليس من صفات الله ولا من طبيعته المطلقة... البهجة هي طبيعة الله المطلقة؛ أما الحرية فهي مادته المطلقة؛ ومن توحد طبيعته مع مادته، توحدا مطلقا، خلق الله النور والحب والسلام؛ النور يبدد الظلام، الظلم من الظلام، الظلم والظلام انغلاق، الانغلاق هو مشكلتنا هنا في فلسطين، الانفتاح حل لها؛ هذه هي خطتنا: الانفتاح... ها أنا أمضي معك، من يافا العربية إلى تل أبيب اليهودية، دولتك يا نسرين عنصرية مغتصبة، أنا باسم كل رايات وألوان شعبي أعلن أننا نقاوم العنصرية الغاصبة... نريد العدل لنا ولكم... ندعوكم للحياة... الحياة الكريمة لنا ولكم...

جمعتنا أريكة سماوية واسعة، في صدارة صالة الاستقبال في قصر تعيش فيه نسرين,,,

- أهلا بكَ في بيتي!
- هذا بيت كنعان يا نسرين لا بيتك!
- أنا يهودية من ذرية كنعان...
- أنا سعيد باستضافتك لي في بيتك...
- سأرفع راية الحب البيضاء على سارية شاهقة فوق بيتي، ستخفق في النور؛ وسأكتب على باب بيتي: هنا بيت العدل...
- وبيت السلام... العدل والسلام وجهان لا فكاك بينهما ولا مسافة...
- بيت السلام العادل...
- قصر السلام العادل...

- مَن هذا الرجل الذي يقف معك في هذه الصورة؟
- زوجي السابق!
- لماذا تقفي بعيدا عنه؟
- كان طيارا عسكريا في الجيش الإسرائيلي!
- هل أنجبتِ منه؟
- كلا؛ أريد أن أنجب منك، والآن... أريد توأمين: ذكرا اسميه عادل، وأنثى أسميها...
- سلام...
- وأنْ يكبران في كنفك...
- وأن ترضعيهما حبا وبهجة...
- وأنْ يرفعا راية الحرية...
- في النور...
- أنْ يصنعا للكرامة مجدا...
- وأنْ ينضما إلى إخوتهما في بيت المقدس ماسة وهابيلة وهابيل...
- مَن هم ماسة وهابيلة وهابيل؟
- روح زرعتها الحرية في بيت المقدس، تصلي في محراب البهجة وتسبح لله في فضاء الحب المفتوح...
- قبلة جديدة؟!
- أجل؛ للخلق أجمعين...
- تخرج من فلسطين، رسالة هدى جديدة للعالمين...
- لذا، بعثتُ أجنة الحياة، تحملها بطون نسائي، في اتجاهات الأرض الأربعة...
- هيا نمنح الحياة جنينين جديدين...
- هيا نصعد فوق القصر... أجنة العدل والسلام بهجة تبدعها حرية الحب في النور...
- خلعتُ أنا من سواد قلبي جداري، فاخلع أنتَ من جهل عقلي دثاري...

بعد تسعة أيام، أنجبت نسرين طفليها... وضعتهما واقفة ثابته دون مساعدة أو ألم أو مشقة... كانا جميلين غاية الجمال ومتعانقيْن مبتهجيْن... نزلا مرفوعيْن القامة وكانا منذ البدء ينطقان ويمشيان كما الكبار الحكماء... كانا بمشيمة واحدة، وأبَيا قطعها، وأبيا أن يصحبا أمهما لاستخراج شهادتيّ ميلادهما؛ قالا بلسان واحد: لا نطلب اعترافا من عنصري غاصب، وعلى الفور، حرقت أمهما بطاقة هويتها الإسرائيلية، وذرت رمادها في الريح... وتنفست الصعداء... قال الطفلان الراشدان الحكيمان بجذل: ستذرو رياح الحب كيان إسرائيل العنصري الغاصب... سينتصر الحب...

اهتم العلماء بواقعة ولادة عادل وسلام...

- معجزة جديدة في بلاد المعجزات...
- ما تفسيرها؟!
- أرض كنعان أمهما وسماؤها أبوهما...
- أجل يا بروفيسور؛ ابدعت سماء كنعان وأرضه روح الكون وروح الإنسان...
- روح الإنسان ربّ عادل، وروح الكون ربة سلام...
- بنى كنعان أول مدينة للإنسان...
- أبدع بنو كنعان أديان ابينا إبراهيم...
- أبناء إبراهيم إخوة في الروح...
- أحرار متساوون...
- من أين أنت يا بروفيسور؟
- انحدرت من جدّ جرماني، عبر أمّ اعتنقت اليهودية، هربت بي إلى خارج ألمانيا، يعد ما يُدعى محرقة اليهود الهتلرية!
- هل تؤمن بصحة ما تشيعه الحركة الصهيونية السياسية الحديثة عما يدعى محرقة هتلر لليهود؟!
- لا أملك أدلة نفي أو إثبات، وبافتراض حدوثها، فإني أعتقد أن أرقام الضحايا من اليهود الألمان مبالغ فيها جدا؛ وأهم من ذلك، كان عهد هتلر، محرقة للألمان وللإنسانية قاطبة وللحياة كلها!
- هل يحق لضحية جريمة ما، أن يرتكب جريمة أخرى، توقع ضحايا بريئة؟!
- كلا؛ الضمير الحي يأبى ذلك!
- لكنك تشارك في الجريمة؟!
- أرجوكِ التوضيح يا نسرين!
- هاجرت عائلتك إلى فلسطين، وانضممتَ إلى ميليشيات قتلت نساءا وأطفالا وشيوخا من أصحاب الحق الشرعي التاريخي الكنعاني؛ هل الضمير الحي يقبل ذلك؟!
- أنا نادم؛ ساعديني لتطهير قلبي!
- عُدْ أنت وأسرتك إلى وطنك الشرعي في ألمانيا!
- ولكني يهودي، ومن حقي أن أعيش في وطن التوراة!
- لا حق لك في استعمار أرض التوراة، هذا حق للكنعانيين وليس للألمان وسواهم...

- أُؤكد مرة أخرى: أنا ابن يهودية ومن حقي أن أعيش في الأرض التي شهدت ولادة التوراة!
- لا أعترض على إيمانك باليهودية، هذا حق شخصي لك، أدافع عنه؛ ولكني لا أوافق على أن حق اختيارك لليهودية، أو اتباع ديانة أمك، يمنحك حق اعتصاب فلسطين... أرض فلسطين ليست أمك... لك حق الارتباط الروحي بوطن التوراة، الراية البيضاء لا تنكر هذا عليك، ولا تنكر على مسلم أو مسيحي أو يهودي، في أرجاء المعمورة كلها، أن يرتبط، ارتباطا روحيا بأرض فلسطين...
- اسمحي لي أن أقترح فكرة جديدة عليك...
- تفضل...
- نخلق في فلسطين حالة بديعة...
- كيف؟!
- نجعلها وطنا مفتوحا لمحبيها...
- حسنا...
- هل راقت لك الفكرة؟!
- تستحق الاهتمام...!
- افتحي لي باب الانضمام إلى راية الحب البيضاء...
- تطّهر من العنصرية الإسرائيلية الصهيونية الغاصبة الظالمة، تفتحْ لك راية الحب البيضاء أبوابها كلها ودون طلب... راية الحب البيضاء مفتوحة للأحرار من الضلالات والظلمات وقوانين الموت كلها... راية الحب البيضاء دعوة لقيام وطن للإنسان الإنسان...
- نبدأ من فلسطين...
- دولة فل إل...
- فل الرب...
- تبدأ من سماء بيت المقدس... من محراب البهجة الطليق العالي...
- الخزي والعار لمن يحارب الحياة!
- النصر والمجد لكل محب للحياة مبتهج بالحرية والوئام والسلامة والزرع والحصاد والمشاع والعدل والسلام...
- هاتي شعلة نار!
- لماذا؟
- لأحرق هويتي الإسرائيلية العنصرية المنغلقة الغاصبة الظالمة وأنزع نفسي من شناري وأعلن براءتي وحريتي من جهلي وحقدي وبشاعتي وقبحي...
- طوبى لك... وتاج الفَخار فوق هامتك...

شاع خير زواج اليهودي نسرين، وولادة عادل وسلام، وحرق البروفيسور لبطاقة هويته الإسرائيلية... وتداولت وسائل الإعلام القصة وهاجمها الكتّاب الصحفيون الإسرائيليون والعرب وسواهم، واتهموا راية الحب البيضاء بالنازية الناعمة وبمعاداة السامية وبالمؤامرة الشيطانية الأخطر على الأمن والسلام الدوليين ومحاربة الاستقرار السياسي والاجتماعي والثقافي وازدراء الأديان ونشر الإباحية والفوضى ودعم حركات الإرهاب الدينية وإفساد مناهج التربية وتضليل النشء وتدمير الأسرة والدعوة إلى دين النور والحرية والحب والبهجة والعمل على الغاء حق اليهود في فلسطين وإزالة دولة إسرائيل وإقامة دولة محراب البهجة ابتداء من فضاء الجبل المقدس في عاصمة دولة إسرائيل الموحدة باعتراف أكبر دولة شهدها التاريخ الإنساني المكتوب...

عاد البروفيسور إلى ألمانيا، ومنها هاجر إلى حجرة بهيجة في معسكر جباليا بقطاع غزة المخنوق المحاصر من فوقة وتحته وشماله وجنوبه وغربه وشرقه ومن داخله...

١٢

أطفال غزة بين الموت والهلع... مَن المسئول؟!

بعد يوم واحد من وصول البروفيسور إلى حجرة بهيجة، احترقت قلوب أهل قطاع غزة في جحيم حرب جديدة... في الحادي عشر من مايو/أيار ٢٠٢١م بدأت الحرب الإسرائيلية الرابعة ضد شعب أعزل يدافع عن حقه في الحياة ويطالب بالحرية والكرامة! كتب البروفيسور تقريرا أرسله إلى صحف عالمية:

مستوطنون صهاينة عنصريون غاصبون يهددون بطرد لاجئين فلسطينيين من منازلهم التي يقيمون فيها منذ عام ١٩٥٦م... من حق الفلسطينيين أن يرفضوا إخلاء منازلهم القائمة فوق أرضهم التاريخية! هؤلاء اللاجئون من عائلات فرت من الموت عام ١٩٤٨؛ الميليشيات الصهيونية العنصرية الغازية الغاصبة المعتدية ارتكبت مجازر وحشية ضد أصحاب فلسطين الشرعيين؛ الميليشيات المسلحة في غزة تدافع عن حق شعبها في الحياة والحرية والكرامة، المقاومون في غزة ليسوا إرهابيين، مَن يسلب حقوق الآخرين بالقوة الهمجية هو الإرهابي! في ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٦م، ارتكب حرس الحدود الإسرائيلي مجزرة بشعة ضد أهالي قرية كفر قاسم الفلسطينية أودت بحياة (٤٩) مواطنا عربيا منهم (٢٣) طفلا... بينهم جنين قُتل مع أمه وطفل في الرابعة ومسنّ في التسعين! منذئذ وضميري يلسعني؛ كنت أحد منفذي الجريمة البشعة، كنت ميت القلب والضمير، أعمى البصيرة! إني أعتذر؛ أعرف أن اعتذاري لن يعيد الحياة لأولئك الأبرياء، ولكني أعتذر وأنتقل من جهة الظالمين المعتدين القتلة كارهي الحياة والإنسانية، إلى جهة محبي الحياة

المدافعين عن حقوق الإنسانية المشروعة بالسلام العادل؛ أعلن بصوت جهوري عال واثق: أنا مع الفلسطينيين، المدافعين عن حقهم في السلام العادل، بالطرق السياسية، وبالطريق المقاوم المسلح، على السواء!

تحت سقف تصدع من قصف عنيف، شنته طائرات حربية أمريكية، يقودها إسرائيليون، واصل البروفيسور، من معسكر اللاجئين الفلسطينيين في جباليا، الواقع شمال قطاع غزة، كتابة تقريره:

لم أعد مؤمنا بحل الخلافات بالحروب؛ منذ التقيت مع مؤسِسة منتدى الحرية في يافا، ماريا بنت ماريا اليهودية، أيقنت أن هناك طريقا آخر للحياة؛ الحب! ولكن دولة إسرائيل عنصرية غاصبة تؤمن بالموت وتدمير الحياة!

عام ١٩٨٨م، نبذت القيادة الفلسطينية الرسمية العنف، وأدانت كل عمل مسلح يقاوم إسرائيل؛ في عام ١٩٩٣م، تنازلت القيادة الفلسطينية الرسمية، عن (٧٨%) من حق شعبها التاريخي المشروع بأراضي فلسطين، واعترفت بمشروعية قيام دولة إسرائيل، مقابل اتفاق جائر، فرضه قوي غاشم، تدعمه قوى دولية تزعم أنها تدافع عن حقوق الإنسان، على ضعيف مخذول لا يسانده شقيق قريب أو غريب بعيد!

سمحت دولة إسرائيل الغاصبة للفلسطينيين بإقامة سلطة حكم ذاتي انتقالي في قطاع غزة، وبعض مناطق في شرق فلسطين معروفة بالضفة الغربية لنهر الأردن... نصّ الاتفاق المعروف باتفاق أوسلو، على إجراء مفاوضات تنتهي قبل بدء العام الثالث من تاريخ توقيعه في واشنطن في ١٣ سبتمبر/أيلول ١٩٩٣م، تنتهي بإقامة دولة للشعب الفلسطيني، قبل عام ١٩٩٨م، في مناطق سلطة الحكم الذاتي، وتعالج قضايا أساسية للشعب الفلسطيني، هي قضايا اللاجئين والقدس والحدود والأمن والمستوطنات الصهيونية المقامة في مناطق أحتلتها إسرائيل خلال حربها ضد العرب عام ١٩٦٧م...

ترفض إسرائيل الانسحاب من الأراضي الفلسطينية التي احتلتها عام ١٩٦٧م، وتخاصر قطاع غزة، حصارا خانقا، منذ فازت منظمة المقاومة الإسلامية (حماس) في انتخابات نزيهة، عام ٢٠٠٥م، لاختيار أعضاء مجلس الحكم الذاتي الفلسطيني التشريعي، وهاجمت سكان غزة، بأربعة حروب دامية ومدمرة، بدعوى انطلاق صواريخ بدائية محلية الصنع، تنقل رسالة للعالم، تطالب برفع الحصار الجائر، وإنقاذ الأطفال والنساء والرجال، من موت وعذابات الفقر والمرض والسجن والبطالة والبؤس والمهانة... وفي الضفة، يتفاقم توغل وتغول المستوطنات الصهيونية، في أراضي الفلسطينيين، بدعم إسرائيلي مخطط ورسمي، وتحاصر

أهالي الضفة الغربية بجدار اسمنتي، يعكس مرضا قديما جدا، لدى المؤمنين بالتوراة والتلمود، حاصرهم في غيتو مرضي نفسي وعقلي، باختيارهم، وبتوهمهم أنهم شعب الله الله المختار، مقابل الشعوب الأخرى البهيمية، الأغيار أو الغوييم، كما تسميهم الكتابات اليهودية الضالة! إسرائيل غيتو الصهيونية المعاصرة... راية الحب البيضاء، دعوة لتحرير الصهاينة العنصريين الغاصبين، من سجن الغيتو الكريه المظلم الظالم...

ويواصل المعتدون الصهاينة، استفزاز مشاعر المسلمين في الحرم القدسي في مدينة القدس ذات التاريخ العربي الممتد إلى ما قبل خمسة آلاف عام، وترفض الحكومات الإسرائيلية على اختلاف مكوناتها الحزبية الصهيونية، الاعتراف بحق الفلسطينيين في اتخاذ الشطر الشرقي من المدينة المقدسة، عاصمة لدولة يحلمون بإقامتها... وبتصرف أهوج، من رئيس الولايات المتحدة الأمريكية المدعو دونالد ترامب، أعلن اعتراف بلادة بالقدس كلها، عاصمة أبدية موحدة لدولة إسرائيل؛ ترامب وجه وقح قبيح للرأسمالية العالمية القاهرة الظالمة المعتدية على حقوق الإنسان الأصيلة الفطرية في الحرية المبتهجة، التي أسست راية الحب البيضاء لقيامها، انطلاقا من محراب البهجة في فضاء بيت المقدس، بمدينة القدس، العاصمة الموحدة الأبدية، لوطن الحب القادم في فلسطين!

خاب أمل الفلسطينيين، في دعم الأقارب والأباعد، لتحقيق حلم العودة إلى قراهم ومدنهم وحقولهم وبحرهم وسمائهم... وتواصل إسرائيل سياسة خنق حياة شعب كان هنا، في جميع أراضي فلسطين، دائما وبلا انقطاع... تواصل دولة إسرائيل، عدوانها الآثم، ضد حق الإنسان في الحرية على أرضة وتحت سمائه!

أنا الآن، هنا في غزة، أدافع مع الفلسطينيين، عن حقهم المشروع في نيل الحرية على أرض أجدادهم، وفي بهجتهم بالحياة الآمنة وبالعدل والسلام...

طلب البروفيسور من مساعدته وسام، رفع راية الحب البيضاء فوق باب حجرة بهيجة...

- هذا لن يكون مستحبا!
- راية الحب البيضاء تدافع عن حقوقك وحقوق شعبك المشروعة!
- لا يتفق منهجها مع تقاليد مجتمعنا؛ أنا قلت لك منذ اللحظة الأولى، لا تكشف علاقتك بمنتدى الحرية في يافا؛ هنا غير مرْض عنه!
- أستميحك العذر؛ لكنك تعرفين موقفي، وتقبلين مساعدتي بتفان ورضا عميقين ومخلصين,,,

- أنا أشاطرك الإيمان براية الحب البيضاء، لكني أخفي ما في قلبي، حفاظا على أمني الشخصي؛ أنا مرأة، وأخشى من اتهامي بالإباحية والفسوق!
- لكن ماريا ليست إباحية ولا فاسقة؛ إنها طاهرة وقديسة كما كانت ماريا أم عيسى، وماريا المجدلية حبيبته الأثيرة إلى نفسه!
- يهود زمان عيسى، اتهموهما بالزنا!
- كانوا آثمين، قلوبهم سوداء ويستغلون الشريعة التوراتية دفاعا عن فسادهم!
- ما زال الحاخامات الصهاينة يرتكبون الإثم ذاته!
- ضميري يعذبني؛ كنت حاخاما صهيونيا، تحت عباءة بروفيسور علماني!
- تستطيع أن تكفّر عن خطيئتك!
- كيف؟!
- تزوجني!
- دينك وتقاليد أهلك لا تسمح لي بنيل هذا الشرف الرفيع!
- أعلن إسلامك!

كنت أتابع ما يجري في حجرة بهيجة، عن طريق التواصل بتقنية الإنترنت... كانت ملامح وجه البروفيسور مسرحا لانفعالات متنازعة، غادرت وسام الحجرة... وسام لا تنقطع عن التواصل معي ومع ماريا وماسة وهابيلة وبهيجة ونسرين وجوليا وسارّة وكوثر...

- ماذا تخفين يا وسام؟!
- أريد الخروج من قطاع غزة!
- إلى أين؟!
- إليك...

احتفل أهالي قطاع غزة بإسلام البروفيسور، وسموه: عبد الله، وخطب وسام، وتزوجها بمهر جمعه الفقراء له، وأعرب عن رغبته بالانتقال إلى شقة سكنية في مدينة غزة، لكن وسام رفضت رغبته، وأصرت على الحياة في حجرة بهيجة الصامدة في وجه الموت والقصف الصاروخي الإسرائيلي الفاجر المتعدد...

وسام مثقفة عالية المستوى، وأديبة مرهفة الحس رفيعة الجمال، وتجيد الحديث باللغة العبرية والألمانية والإنجليزية والفرنسية والروسية، مثل عبد الله...

- أمي ولدتني هنا يا عبد الله!

- لكن الحجرة رثة بائسة وآيلة للسقوط ولا تليق بأديبة شاعرة مثلك، أنتِ مليكة قلبي، سأبذل كل ما استطيع لتوفير حياة كريمة لك، أنا تركت بلدي وأهلي وقررت أن أقضي بقية حياتي معك، لي غاية واحدة: إسعاد قلبك يا قلبي...
- سأخرج من هنا في حالة واحدة,,,
- ما هي؟!
- حين أستطيع الحج إلى منتدى الحرية...
- ما السبيل إلى ذلك؟!
- بزواجي منك، بات طريق حصولي على جنسيتك ميسورا، وحينها، سأذهب إلى يافا، وألتحق براية الحب البيضاء...
- ولكنني لن أستطيع مصاحبتك إلى هناك، ولن أستطيع فراقك!
- أنت الآن مسلم يا عبد الله، وتقيم في غزة، تزوج امرأة أخرى!
- هذا يصدمني!
- نحتاج إلى صدمة عميقة، تعيد للإنسان وعيه المفقود...
- أنا عدت إلى وعيي؟!
- ليس تماما يا زوجي الحبيب!
- زوجي الحبيب؟!
- أجل؛ أنت زوجي الحبيب...
- تحبينني وتطلبين مني الزواج من غيرك؟!الحب ليس تملكا يا بروفيسور؛ الحب حرية مبتهجة... ألم أقل لك إنك لم تعد إلى وعيك تماما؟!
- غلبتني حجتك...

امتثل عبد الله لإرادة وسام، وترك لها حرية اختيار زوجة أخرى له... ترك زوجته الفلسطينية الثانية، وغادر قطاع غزة، وفي وقت واحد، سافرت وسام إلى منتدى الحرية، وعاد عبد الله إلى زوجته الجديدة... أنجب منها أطفالا كثيرين، تزاحموا مع أبويهما في حجرة بهيجة... ماتت أمّ أطفاله الفلسطينيين، حزن طويلا... ورثتها وسام بقصيدة بليغة قرأتها عليه عن بعد...

وسام تهيم بي عشقا مجنونا، ولم تخفي عاطفتها نحوي، فاقترحت ماريا علينا الزواج، اشترطتُ موافقة زوجها البروفيسور عبد الله، بكى وذرف دموعا أشعلت النار في قلبي، ثم بارك زواجنا... اتصلت وسام مع جوليا، وطلبت مساعداتها لإنشاء دار صحافة ونشر؛ جوليا الفضاء المفتوح ازدادت حبا لي وإخلاصا لراية الحب البيضاء، وبكرمها المعهود، وافقت جوليا على تقديم مساعدتها السخية لوسام... انضمت نسرين الصحفية إلى مشروع وسام... قالت ماريا: نحن نتقدم

بخطى حكيمة، وعانقتني وعانقت نسرين ووسام، بذراعيها وقلبها وعينيها الباسمتين الساحرتين...

- أزداد حبا لك يا ماريا... أنت أول الحب وأول انتصاراتي...
- حبكَ يطهرني يا حامل راية الحب البيضاء يا أبا ماسة...
- أزداد حبا لكل نسائي,,,
- بورك حبك...

تزوج عبد الله من فلسطينية ثالثة، وأنجب منها عشرة أطفال آخرين في حملين، استغرق كل منهما عشرة أيام، بفاصل مدته يومان؛ أطفاله العشرة من زوجته الفلسطينية المتوفاة، ولدوا من حملين أيضا خلال شهر واحد... تساءل عبد الله في سرّه، عن سبب هذه الظاهرة العجيبة وغير المسبوقة؟ وعدت وسام بتكليف علماء اختصاصيين عالميين ذوي علاقة بالموضوع، ببحث علمي يكشف سرّ خصوبة المرأة الفلسطينية وسرعة حملها الاستثنائية... تكفلت جوليا بتوفير المال اللازم لإتمام البحث...

- المنهج العلمي التجريبي غير مؤهل لبحث هذه الظاهرة الاستثنائية العجيبة يا وسام!
- ما السبيل إذن؟!
- العلم المجافي للروح غرور أعمى وأصمّ وأبْكم...
- الإنسان حقق قفزات علمية واسعة!
- لكنه يزداد شقاءأ وفقرا وبؤسا؛ القنبلة التي دمرت هيروشيما كانت إنجازا علميا؟! وطائرات إسرائيل الأمريكية التي تقتل أطفالنا إنجاز علمي أيضا؟!
- ثورة السايبر وتقنية التواصل الإليكتروني إنجاز علمي؟!
- إنجاز قاتل ما دام بلا روح تهديه وتضبطه!
- تقنية الإخصاب خارج الرحم إنجاز علمي؟!
- تقنية حمل خمس أجنة معا وولادتهم سالمين في عشرة أيام إنجاز لإرادة الحياة وانتصار للروح على تقنية الموت الإسرائيلية...
- راية الحب البيضاء تعلو وتنتصر...

عشرون طفلا يلهون بحرية في حجرة بهيجة، وأمّ وأب محبان مبتهجان بإرادة الحياة المنتصرة؛ والفلسطينيون يرقصون في الشوارع ويوزعون الحلوى احتفالا وابتهاجا بتحرر ستة من أبطالهم من سجن إسرائيلي من خلال نفق حفروه بقلم وملعقة طعام...

- لكننا اعتقلناهم في نهاية المطاف وأعدناهم إلى غياهب السجون؟!
- اعتقلتم ظلامكم وظلمكم... الحرية فطرة خلقتنا ولا تنهزم... الله حرية أيها الجاهل العنصري الباغي المغتصب، سترحل أنت من التاريخ وسينتصر الحب الذي انتصر في حجرة بهيجة... أبناء البروفيسور عبد الله سينتصرون...
- أنتِ إرهابية يا نسرين، ويجب طردك من هنا فورا؛ مكانك هناك في حجرة بهيجة تحت سقف الإرهاب المعادي لدولة إسرائيل واحة العلم والديمقراطية!
- كذبتَ وخسئتِ وبئستَ وخسرتِ والعار لك والشنار لدولتك العنصرية...
- نحن سادة منطقة الشرق الأوسط والعرب يندفعون نحونا وسلطة رام الله الفلسطينية لم تحرك ساكنا حين اقتحمنا جنين واعتقلنا الإرهابيْن الهاربِيْن وأعدناهم ليمثلوا من جديد أمام محكمتنا العادلة؟!
- عبد الظلم العنصري الغاصب القاتل مثلك لا يكون سيدا ولا عادلا أيها الجندي المأسور لجهلك وبغيك المأجور لأعداء الإنسانية الشياطين الحاقدين... مثلك يأكله دود القبر ويلعنه التاريخ الصادق... عُد إلى رشدك وتُب وأحبّ وأحسِن قبل فوات الأوان... راية الحب البيضاء فضاء مفتوح للتائبين وللذين هم يتطهرون ويحسنون عملا,,,

لم أُعرِّس بوسام بعد؛ أنا وهي وماريا ونسرين والجندي التائب ومعنا عن بعد ماسة وهابيلة وهابيل وجوليا ونسائي الأخريات والبروفيسور عبد الله مشغولون بالتفكير في شؤون راية الحب البيضاء ومشروعاتها ومستقبلها,,,

بدأنا جلسة الحوار... جددنا إيماننا براية الحب البيضاء وتبادلنا القبلات وجاهيا وعبر التواصل الإليكتروني، ودعوت سميرة زوجة عبد الله للانضمام إلينا، وقدمنا لها التحيات الطيبات المباركات وطلبنا أن ترينا أطفالنا العشرين وفاجأتنا بالقول إنها في ساعتها الأخيرة قبل أن تضع عشرين طفلا آخرين بعد حمل استغرق خمسة أيام وأنبأتنا بجذل طفولي وبثقة إنها اكتسبت خبرة اعجازية تؤهلها للإنجاب فور معاشرة عبد الله لها، وأضافت أنها ستنقل خبرتها لجميع نساء فلسطين الكنعانيات...

- ما سرّ امتلاكك لهذه القدرة الخارقة لخطة الطبيعة الأولية؟!
- إيماني بالبروفيسور عبد الله الروحي...
- قلتِ إنك ستنقلين خبرتك إلى أخواتك الأخريات، هل تتوقعين أنهن مؤهلات لذلك؟!
- أزواج مثل البروفيسور عبد الله الروحي يؤهلهن لذلك...

- ماذا يمتلك البروفيسور عبد الله الروحي؟!
- الإيمان القوي الصادق المخلص العامل بربة النور وبهجة الحرية المحبة والعدل والوئام والسلام...
- المجد لك ولزوجك وأطفالك يا سميرة...
- اسألك يا عبد الله، كيف ستوفر حياة كريمة لأطفالك العديدين؟!
- من خلقهم يرزقهم؛ الله ضمن الرزق لكل كائن حيّ منذ كان في رحم أمه!
- ما تفسيرك يا سيدة سميرة لاكتظاظ الأرض بالفقراء من كل لون وملّة؟!
- مشيئة الله، وما شاء فعل!
- الفقر شقاء!
- هل الشقاء مشيئة إلاهية يا شيخة سميرة؟!
- لا مشيئة في الأرض وفي السماوات إلا مشيئة الله!
- هل يفعل الله الشر؟!
- لا يُسأل الله عما يفعل!
- يقول فقهاء المسلمين إن حمل المرأة قد يمتد إلى خمس سنين وحملك لم يجاوز خمسة أيام؟!
- شاء الله رب العدل وأنا فعلت ما شاء...
- إيمانك يصنعك يا امرأة...
- ماذا ترى يا بروفيسور؟!
- أمامي خيارات عدة...
- الأول...؟!
- أنتم تعرفون أنني أحمل جنسية دولة تعاني من نقص في الأطفال، ومن حقي أن أمنحهم جنسيتها، وهي ستوفر الرعاية التامة لهم...
- ما رأي أمهم؟!
- ترفض مغادرة حجرة بهيجة إلا محمولة إلى قبرها!
- هل خطر لك أن تغادر أنت وأطفالك دونها؟!
- كلا؛ لن أفجعها في أبنائها، ولن أفجع قلبي بالابتعاد عنها...
- الثاني...؟!
- قدمت دولة إسرائيل عرضا لي، بالعودة إليها والعفو عني والرجوع لديانتي العنصرية وتخلي سميرة عن دينها الإسلامي وعن حقها وحقوق أطفالها في فلسطين، مقابل اصطحابي لأطفالي وأمهم، وضمان رعايتنا، بشرط التخلي الكامل العلني عن انتمائي أنا وزوجتي إلى راية الحب البيضاء وإيماني بها!
- ماذا كان ردك؟!
- رفضت دون تأجيل...

- هل استشرت زوجتك؟!
- كلا!
- ماذا ترين يا سميرة؟!
- المسألة ذات وجهين يا وسام!
- الأول...؟!
- أنْ أتخلى عن إسلامي وعروبتي وكنعانيتي وأتنازل عن حقي وحق أطفالي في فلسطين كما سبقني إلى ذلك قيادة مهزومة تعجلت حصاد الشوك ولم يثمر عملها إلا مزيدا من العناء والشقاء لشعبي ومزيدا من اغتصاب أرضنا وقتل أطفالنا وشبابنا وانشقاق جسمنا إلى راية خضراء وثانية صفراء وثالثة سوداء ورابعة حمراء وخامسة حائرة وسادسة بائسة وسابعة هاربة وثامنة خائرة وتاسعة لكروش طامعة وعاشرة منافقة وحادية عشرة غائبة واثنتي عشرة وثالث عشرة فرت إلى الخبال ورابع عشرة تتنحر...
- الثاني...؟!
- أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وأصمد وأخوض معركة الحياة بقوة الإيمان والعزيمة والجد والصبر لرضا القلب وطمأنينة النفس والتوكل على الله والثقة بنصره القادم لا محلة,,,

صمتت سميرة وأطرقت ثم رفعت رأسها وابتسمت واستقام ظهرها ونهضت وقالت بصوت جهوري عال ووقار وثقة: حسب استقراء القرآن الكريم، ستزول دولة إسرائيل من الوجود في العام القادم، عام ٢٠٢٢م... وإن غدا لناظره قريب...

- وبشّر الصابرين...
- وليس العاجزين المتكلين!
- الكاذبين!
- السارقين!
- القامعين!
- الطامعين!
- الخانعين!
- المنغلقين!
- الكارهين!
- المتنابذين!
- المتنازعين!
- البائعين!
- المنافقين!

- الجاهلين!
- ضامري السوء!
- هل تؤمنين براية الحب البيضاء يا سميرة؟!
- أؤمن بزوجي سيدي البروفيسور عبد الله اليهودي المسلم الروحي...
- هل يميل قلبك إلى الانتقال إلى أراضي فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨م؟!
- هذا حق لي ولأبنائي...
- هل تقبلين الشروط الإسرائيلية؟!
- كلّا... كلّا...
- هل تخشين من إجبارك على خلع قناعك إذا انتقلت إلى بلد زوجك الأصلي؟!
- لم تجب؟!
- اختفت؟!
- انقطع التيار الكهربائي عن حجرة بهيجة...

قطاع غزة يغرق في الظلام؛ هيا بنا يا عروسي يا وسام... آن لنا أن نشق البحر معا وننعم بحب خاص حميم...

١٣

يستقبل البروفيسور عبد الله حسن يصلي، محراب البهجة في بيت المقدس...

- كعبة مكة هي قبلة المسلمين يا حاج!
- فأينما تولّوا فثمّ وجه الله يا إخوتي...
- فولّ وجهك شطر المسجد الحرام!
- الله وجّه النبي نحو قبلة يرضاها: فلنولّينك قبلة ترضاها!
- النبي قدوتنا!
- أجل؛ كان يرضى قبلة فأمره الله أن يستقبلها في صلاته؛ وأنا لي قبلة أرضاها...
- وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره: شطر المسجد الحرام!
- لم يقل القرآن الكريم: قلوبكم؛ وكان قلب النبي محمد معلقا بمكة، وقلبي معلق بمحراب البهجة في فضاء بيت المقدس المفتوح..

قال رجل رشيد: خذوا أخاكم بلين ورفق، وبشروا ولا تنفِّروا، ولله المشرق والمغرب... وعبد الله لم يزل حديث عهد بالإسلام...

- يهودي لم يؤمن بالإسلام إيمانا صادقا!
- نحن شعب عاطفي ويسهل خداعنا!
- يحيرني موقف حكومة حماس الإسلامية منه؛ لا بدّ أنهم يعرفون حقيقته، فلماذا يتركونه يفعل ما يشاء!
- هل حكومة حماس المسيطرة على غزة، حكومة إسلامية؟!
- هذا ما يظهر لنا!
- هل يكفي أن نحكم بالظاهر؟!
- ماذا تريد؟! هل نشق الصدور ونفحص قلوب أصحابها؟!
- بعد شق الصدر، سنجد أن القلب مات!
- شعب جاهل؛ الأطباء يشقون الصدور ويحافظون على القلب حيا!
- قلب اليهودي كافر، وما يقوله هو ارتداد عن الإسلام بعد أن أظهر الإيمان به لينال غرضا من عرض الدنيا؛ هو أسلم ليتزوج مسلمة، خدعنا وتزوج مسلمتين من نسائنا، القرآن الكريم يحكم بقتله!

صعد الرجل الرشيد على منبر المسجد وحمد الله وأستغفره وصلى على النبي محمد وآله وصحبه وقال: علمنا الحبيب المصطفى، صلّوا عليه وسلّموا تسليما، أن نحسن

الظن بالآخرين، وأن نحكم عليهم بما ظهر منهم، أما خفايا النفوس، فلا يطلع عليها أحد سوى الله جل علاه، ولا يحث لأحد أن يحاسب أحدا إلا بما ظهر منه، ولم يظهر لنا من عبد الله شر، فالرجل حسن الخلق طيب المعشر سخي العطاء ويبادر إلى إغاثة كل ملهوف، ويداوي كل مريض، وترك قومه الكفار، وأختار العيش معنا رغم ظروفنا القاسية، ويبادر بفعل الخير، وعلى عكس كثيرون من أغنيائنا، الذين يصمون آذانهم عن استغاثة اليتامى والأرامل والمحتاجين...

- الأغنياء يا مولانا الشيخ يراودون المطلقات والأرامل عن نفوسهن، مقابل وعود زائفة بمساعدتهن!

استعاذ الرجل الرشيد من الشيطان الرجيم وقال:

عن أُسامةَ بنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: بعثَنَا رسولُ الله ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنا الْقَوْمَ عَلى مِياهِهِمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنهُمْ، فَلَمَّا غَشيناهُ قَالَ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصارِيُّ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدينَةَ بلَغَ ذلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لِي: يَا أُسامةُ! أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ؟! قلتُ: يَا رسولَ الله إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا، فَقَالَ: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ؟! فَما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ الْيَوْمِ. متفقٌ عَلَيهِ.

وفي روايةٍ: فَقالَ رسولُ الله ﷺ: أَقَالَ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟! قلتُ: يَا رسولَ اللهِ! إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ، قَالَ: أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟! فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَومَئذٍ...

- روى البخاري في صحيحه، عن عبدِالله بنِ عتبة بن مسعودٍ قَالَ: سمِعْتُ عُمَر بْنَ الخَطَّابِ يقولُ: إنَّ نَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بالوَحْي في عَهْدِ رَسُول الله ﷺ، وإنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وإنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِما ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنا خَيْرًا أَمِنَّاهُ، وقرَّبناه، وَلَيْس لنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شيءٌ، اللهُ يُحاسِبُهُ فِي سرِيرَتِهِ، ومَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَه حَسنَةٌ...
- صحيح البخاري هو أصح كتب الحديث النبوي يا مولانا؛ هل تشك في ذلك؟!

صمت الرجل الرشيد، وتوكأ على عصاه ونزل عن المنبر وخرج من المسجد، إلى حجرة بهيجة:

- قلبي معك يا بروفيسور عبد الله الروحي...
- أخاف من عمر بن الخطاب البخاري...!

- لا تقلق؛ موازين السياسة واعتباراتها، توفر لك ما تحتاجه من أمن، وعمر بن الخطاب لا يرئس حكومة غزة، وصحيح البخاري كتاب محفوظ على الرفوف المهجورة المتربة، لا في القلوب النابضة! ساعدني لأنضم إلى منتدى الحرية!
- لإيماننا أن الحرية حق مشاع، فالانضمام إلى منتدى الحرية حق مشاع أيضا، الحرية حق فطري، يولد كل كائن، حيّ أو جماد، بالحرية وعلى دينها...
- لكن الإنسان، ودون الكائنات كلها، بحاجة إلى مساعدته لاسترداد حريته المسلوبة!
- لذا، رفعنا راية الحب البيضاء...
- أعترف أمامك بأنني أجد في قلبي ميلا قويا لاتخاذ محراب البهجة قبلة لروحي...
- محراب البهجة قبلة الأحرار...
- لكننا سنجد مقاومة عنيدة وجائرة ومن كل اتجاه!
- أجَل يا أخي تحت راية الحب البيضاء، أجَل...
- ر ح ب... الحروف الأولى من جملة (راية الحب البيضاء)... رحب... هنا الحل!
- فلسطين وطن رحب...
- يتسع لكل حر كريم...
- ومحراب البهجة قلبه النابض... لكن العدوان الغاشم سلبنا حق البهجة!
- ليكن في فلسطين سلام...

من فوق منبر صلاة الجمعة، أطلق الشيخ الرشيد، من معسكر جباليا، بقطاع عزة

نداء السلام

ASSALAMO ALAYKOM

This is our greeting Peace be upon you all …

Peace be to you always

السلام عليكم

هذه تحيتنا

السلام عليكم

السلام لكم دائما

Mohammed Esa Mosa Ibrahim FROM GAZA:

WE WANT LIFE
WE LOVE LIFE
WE LOVE YOU ALL

This “peace appeal” emanates from Gaza, which is stricken with poverty, terror, misery and death

Gaza’s children live in poverty, terror and misery

Gaza’s children are victims of a war that kills mothers, fathers and siblings.

Gaza’s children, mothers, fathers and siblings hate war, hate the destruction of their homes and hate death

Gaza’s children, mothers, fathers and siblings love life

The lives of Gaza’s children, their mothers, their fathers and their brothers are miserable

War is the cause of their misery

Mothers are miserable and give birth to miserable children

Children are born in miserable families

War is the cause of poverty and the misery of

محمد عيسى موسى
إبراهيم من غزة:

نحن نريد الحياة
نحن نحب الحياة
نحن نحبكم جميعا

هذا “نداء السلام” ينطلق من غزة المنكوبة بالفقر والرعب والشقاء والموت

يعيش أطفال غزة حياة فقر ورعب وشقاء
يسقط اطفال غزة ضحايا حرب تقتل الأمهات والإباء والأشقاء.
أطفال غزة وأمهاتهم وآباؤهم وأشقاؤهم يكرهون الحرب
ويكرهون دمار منازلهم ويكرهون الموت
أطفال غزة وأمهاتهم وآباؤهم وأشقاؤهم يحبون الحياة
حياة أطفال غزة وأمهاتهم

the children of Gaza Gaza’s children, mothers, fathers and siblings do not want war Gaza’s children, mothers, fathers and brothers hate war, death, poverty and misery Gaza’s children, mothers, fathers and brothers want peace, love, freedom and joy Children are born with white and innocent hearts But war kills the owners of these white and innocent hearts In war, children lose security, lose food, drink polluted water, and breathe in polluted air War spoils life War pollutes air, water, food, hearts and minds War sows hatred, and the culture of death The culture of hatred and death permeates the subconscious mind of children, destroying their lives The war maims the image of a beautiful life, painted by innocence and white hearts War is evil and demons do Children in Palestine have been living in terror for more than seventy years I was born in the city of Jaffa, on the eastern shore of the Mediterranean Sea, my city was famous for orange, and Jaffa orange was exported to the European markets, and my city	وآبائهم وأشقائهم بائسة الحرب هي سبب بؤسهم الأمهات بائسة وتلد أطفالا بائسين ينشأ الأطفال في عائلات بائسة الحرب هي سبب فقر وبؤس أطفال غزة أطفال غزة وأمهاتهم وآباؤهم وأشقاؤهم لا يريدون الحرب أطفال غزة وأمهاتهم وآباؤهم وأشقاؤهم يكرهون الحرب والموت والفقر والبؤس أطفال غزة وأمهاتهم وآباؤهم وأشقاؤهم يريدون السلام والحب والحرية والبهجة يلد الأطفال بقلوب بيضاء وبريئة ولكن الحرب تقتل أصحاب هذه القلوب البيضاء والبريئة في الحرب، يفقد الأطفال الأمن، يفقدون الطعام ويشربون مياها ملوثة، ويتنفسون هواء ملوثا الحرب تفسد الحياة الحرب تلوث الهواء والماء والطعام والقلوب والعقول الحرب تزرع الكراهية، وثقافة الموت تتسلل ثقافة الكراهية والموت إلى العقل الباطن للأطفال، فتفسد حياتهم

was described as a mermaid I grew up in an atmosphere of war between the Palestinian people and the Jewish immigrants who settled in Palestine Children, especially in their early years, need peace People, always, need peace I have lost peace since my birth When I was born, my first crying mixed with my mother's fear and anxiety, and the rest of my family, of the war Since I was born in my mother's womb, I have instilled fear and anxiety When I was born, my family lived in the Manshiya neighborhood, which is located on the northern side of the city of Jaffa, next to the settlement of Tel Aviv, which the Jewish immigrants to Palestine had built In Manshiya, the voices of war, terror and death were unbroken I grew up in the center of the sounds of war, terror and the threat of death I was born at the center of the war between the Palestinian people and the Jewish immigrants	تشوه الحرب صورة الحياة الجميلة، التي ترسمها البراءة والقلوب البيضاء الحرب شر ومن فعل الشياطين ظل الأطفال في فلسطين يعيشون في الرعب من الحرب منذ ما يزيد عن سبعين عاما أنا ولدت عام ١٩٤٤م، في مدينتي يافا، الواقعة على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، كانت مدينتي مشهورة بالبرتقال، وكان برتقال يافا يصدر للأسواق الأوربية، وكانت مدينتي توصف بأنها عروس البحر انا نشأت في أجواء حرب بين شعبي الفلسطيني والمهاجرين اليهود الذين استوطنوا في فلسطين الأطفال، خاصة في سنواتهم الأولى، يحتاجون للسلام الناس، دائما، يحتاجون للسلام أنا فقدت السلام منذ ولادتي عندما ولدت، اختلط بكائي الأول مع خوف أمي وقلقها، وسائر عائلتي، من الحرب منذ كنت جنينا في رحم أمي، رضعت الخوف

والقلق
حين ولادتي، كانت
عائلتي تسكن في حيّ
المنشية، الذي يقع على
الجانب الشمالي من مدينة
يافا، المجاور لمستوطنة
تل أبيب التي كان
المهاجرون اليهود إلى
فلسطين قد بنوها
جوار المنشية، كانت
أصوات الحرب والرعب
والموت لا تنقطع
أنا نشأت في مركز
أصوات الحرب والرعب
وتهديد الموت
أنا ولدت في بؤرة الحرب
بين شعبي الفلسطيني وبين
المهاجرين اليهود
أنا عشت السنوات الأولى
من طفولتي في مركز
الرعب والموت
بعد ثلاث سنوات من
ولادتي، هربت عائلتي من
الموت، هاجرت عائلتي
إلى قطاع غزة
أنا هنا في غزة، الموت
يهددني، والقلق من الموت
يسلب حق الحياة الكريمة
من أطفال شعبي، ومن
جميع شعبي
أنا فقدت السلام ابتداء من
ولادتي، ولا أزال أفقده
جميع الأطفال هنا يفقدون
السلام
جميع الأمهات والآباء هنا
يفقدون السلام
جميع الأطفال هنا يحبون

I lived the early years of my childhood in the center of terror and death

Three years after my birth, my family fled death, my family immigrated to the Gaza Strip

I still live in Gaza, under threat of war, death, displacement and misery, Since I was born in Jaffa, Palestine, in 1944, I have lived under threat of death, death threatens me, and the anxiety of death takes away the right to a decent life from the children of my people, and from all my people

I lost security since my birth, and my entire people are losing peace and a safe and

dignified life ...All children here are losing peace, safe and dignified life All mothers and fathers here are losing peace All the children here love peace, need peace and want peace I have a strong belief in peace This is my invitation Here, in Palestine, we are losing peace Children here, mothers, fathers, brothers and neighbors, die in war Children here, mothers, fathers, siblings, neighbors, want life, do not want to die All people want life, do not want to die I believe in life, for that, I believe in peace ... this is my call I want you with me Let us work together for peace But remember, peace is justice Without justice, there will be no peace I invite you to work for justice, for peace Poverty, misery and death of children are not fair Poverty, misery and death of people, not fair The right to a decent life is justice Dignity is right for all people	السلام ويحتاجون السلام ويريدون السلام أنا أملك إيمانا قويا بالسلام هذه دعوتي نحن هنا، في فلسطين، نفقد السلام الأطفال هنا، والأمهات والآباء والأشقاء والجيران، يموتون في الحرب الأطفال هنا، والأمهات والآباء والأشقاء والجيران، يريدون الحياة، لا يريدون الموت كل الناس تريد الحياة، لا تريد الموت أنا أؤمن بالحياة، من أجل ذلك، أنا أؤمن بالسلام.. هذه دعوتي أريدكم معي لنعمل سويا من أجل السلام لكن، تذكروا جيدا: السلام يقوم بالعدل بدون العدل، لن يكون هناك سلام أدعوكم للعمل من أحل العدل، ومن أجل السلام فقر وشقاء وموت الأطفال، ليس عدلا فقر وشقاء وموت الناس، ليس عدلا حق الحياة الكريمة هو العدل الكرامة حق للناس جميعا العدل يمنحنا كرامتنا أنا أؤمن بالسلام، وأؤمن

Justice gives us our dignity	بالعدل، لأني أؤمن بالحياة
I believe in peace, and I believe in justice, because I believe in life	أنا أدعو للحب، وأؤمن بالحب
I call for love, and I believe in love	الحب يصنع السلام
Love makes peace	أنا أؤمن بالحياة في النور
I believe in life in the light	في النور، نصنع السلام
In the light, we make peace	أنا أؤمن بالحرية
I believe in freedom	الحرية تصنع السلام
Freedom makes peace	أنا أؤمن بالبهجة
I believe in joy	نحن نحتاج السلام من أجل أن نحيا مبتهجين
We need peace in order to live cheerful	أنا أؤمن بالسلام، لأني أؤمن أنك أختي، وأنك أخي، وأن الحياة حق لي، مثلما هي حق لك
I believe in peace, because I believe that you are my sister, and that you are my brother, and that life is my right, as it is for you	أنا أؤمن أن السلام سينتصر
I believe that peace will prevail	أنا أؤمن إيمانا عميقا، أن الأطفال سينعمون بالسلام
I deeply believe that children will enjoy peace	أنا واثق أنكم، وأنا معكم، ستعملون بقوة من أجل السلام
I am confident that you and I will work hard for peace	يحيا السلام
Long live peace	المجد للسلام
Glory to Peace	المجد للإنسانية
Glory to humanity	أنا أؤمن إيمانا عميقا، أن الإنسانية ستنتصر
I believe deeply that humanity will win	السلام حق للناس جميعا..
Peace is the right of all people. This is my deep belief	هذا إيماني العميق
I love you all ... Peace for all of you	أنا أحبكم جميعا.. السلام لكم جميعا
	المجانين يصنعون الحرب والموت
	العقلاء يصنعون السلام والحياة
	طريق المجانين، هي طريق الحرب، وطريق

The madmen make war and death	الحرب هي طريق الموت
The wise make peace and life	طريق العقلاء، هي طريق العدل، والحب، والحرية، والبهجة، ومجد الإنسانية
The path of war, and the way of war is the road of death	طريق العقلاء هي طريق الحياة
The path of the wise, is the path of justice, love, freedom, joy, and the glory of humanity	وطريق الحياة هي طريق السلام
The path of the wise is the way of life	أنا أؤمن إيمانا عميقا، أن السلام سينتصر في بلادي، وفي كل البلاد
The way of life is the path of peace	ولكي ينتصر السلام، يجب أن نتوحد جميعا تحت راية السلام
I deeply believe that peace will prevail in my country and throughout the country	دعوتي إليكم جميعا، أخواتي، إخوتي، بناتي، أبنائي، حفيداتي، أحفادي: توحدوا جميعا تحت راية السلام
For peace to prevail, we must all unite under the banner of peace	أنا أؤمن إيمانا عميقا، أن السلام سينتصر في بلادي، وفي كل البلاد
I invite you all, my sisters, my brothers, my sons girls and boys, my grandchildren the girls and boys: unite under the banner of peace	أنا أؤمن إيمانا عميقا، أن السلام سينتصر في بلادي، وفي كل البلاد
I deeply believe that peace will prevail in my country and out of my country	هيا ننطلق
I deeply believe that peace will prevail in my country and out of my country	لديَّ إيمان: سيسود العدل في بلادي
Let’s go	لديَّ إيمان: سيسود السلام في بلادي
I have faith: justice will prevail in my country	لديَّ إيمان: سيسود العدل في العالم
I have faith: peace will prevail in my country	لديَّ إيمان: سيسود السلام في العالم
I have faith: justice will prevail in the world	العدل والسلام سينتصران وسيسودان
I have faith: peace will prevail in the world	سينعم الأطفال بالحياة
Justice and peace will prevail	
Children will enjoy a safe and happy life	

They will not be afraid They will not worry They will not despair They will not starve They will not lose their families, friends, homes, schools, play or playgrounds I have faith: harmony will prevail among all people, here in my country, and everywhere in our world When harmony reigns between us, peace will prevail My dears and loves: When justice is achieved, harmony is achieved, peace is achieved, we all win, we enjoy life, we achieve our dignity When peace reigns: we will direct our intelligence, toward what makes us a better, more beautiful life When peace prevails: we will have security, we will achieve prosperity, we will achieve growth, we will achieve our joy When peace reigns, we will channel our energies towards progress in the spheres of spirit and science When evil is defeated in us, peace prevails Defeat the evils of yourselves, love each other: with love we make our peace Love enlightens our hearts, enlightens our minds	الكريمة الآمنة السعيدة لن يخافوا لن يقلقوا لن يبتئسوا لن يجوعوا لن يفقدوا عائلاتهم ولا أصدقاءهم ولا بيوتهم ولا مدارسهم ولا لعبهم ولا ملاعبهم أنا عندي إيمان: سيسود الوئام بين الناس جميعا، هنا في بلدي، وفي كل مكان من عالمنا وعندما يسود الوئام بيننا، سيسود السلام أحبتي: عندما يقوم العدل، يتحقق الوئام، ويتحقق السلام، وننتصر كلنا، ونستمتع بالحياة، ونحقق كرامتنا عندما يسود السلام: سنوجه ذكاءنا، نحو ما يصنع لنا حياة أفضل، وأجمل عندما يسود السلام: سنمتلك الأمن، سنحقق الرخاء، سنحقق النمو، سنحقق بهجتنا عندما يسود السلام: سنوجه طاقاتنا نحو التقدم في مجالات الروح والعلم عندما نهزم الشر في نفوسنا، يسود السلام اهزموا شرور أنفسكم، أحبوا بعضكم بعضا: بالحب نصنع سلامنا الحب ينير قلوبنا، وينير

Love frees us from the demons of our souls	عقولنا الحب يحررنا من شياطين نفوسنا
Love makes us a better and more beautiful world	الحب يصنع لنا عالما أفضل وأجمل
Love makes justice, harmony, peace, progress, growth, prosperity and joy	الحب يصنع العدل والوئام والسلام والتقدم والنمو والرخاء والبهجة
I and my people love life, and want life	أحبوا الحياة
Love is the way of life	الحب طريق الحياة
I love you	أنا أحبكم
From my country, the land of Christ, I invite you to love, justice, harmony and peace	من بلادي، بلاد المسيح، أدعوكم للحب والعدل والوئام والسلام
From my country, the Land of the Prophets, I invite you to rise and emerge from the darkness of hearts and minds	من بلادي، بلاد الأنبياء، أدعوكم للنهوض والخروج من ظلمات القلوب والعقول
Get out of the darkness, go in the light	اخرجوا من الظلام، انطلقوا في النور
The loving mind frees us from the darkness of our hearts, from the darkness of our souls, and from the darkness of our minds	العقل المحب، يحررنا من ظلام قلوبنا، ومن ظلام نفوسنا ، ومن ظلام عقولنا
The loving mind frees us from selfishness, injustice, oppression, tyranny and enslavement	العقل المحب يحررنا من الأنانية ومن الظلم ومن القهر ومن الاستبداد ومن الاستعباد
Make the loving mind a method for you	اجعلوا العقل المحب منهجا لكم
This is my call, I’m Mohammed Esa Mosa Ibrahim, resident in Gaza, Palestine	هذه دعوتي، أنا محمد عيسى موسى إبراهيم، المقيم في غزة، فلسطين
Here in Gaza, there is still a very old sycamore tree, the Virgin Mary, and her baby Christ, had rested under it and shaded it from the heat of the sun, during their flight from Palestine to Egypt, in order to escape the threat of death	هنا في غزة، لا تزال شجرة جميز قديمة حية، كانت العذراء مريم، وابنها المسيح عيسى قد
Children here, mothers and fathers here, afraid	

of war and death Children here, mothers and fathers here, live in poverty, misery, disease, agony and anxiety We want peace We want life We love peace We love life We all love you My children want life and peace My children love life and love peace and love you We hate poverty, oppression, terror, misery and death We love life, we love justice, we love freedom, we love joy, we love harmony, we love peace, we love all people We love to all people what we love for ourselves We love you and rejoice in our love for you Peace be for us and for all of you	استظلا بها واستراحا تحتها ، وهما في طريقهما من بلادي إلى مصر، هاربان، وخائفان من الموت الأطفال هنا، والأمهات والآباء هنا، خائفون من الحرب ومن الموت الأطفال هنا، والأمهات والآباء هنا، يحيون في فقر وبؤس ومرض وعذاب وقلق نريد السلام نريد الحياة نحن نحب السلام نحن نحب الحياة نحن نحبكم جميعا أطفال بلادي يريدون الحياة والسلام أطفال بلادي يحبون الحياة ويحبون السلام ويحبونكم نحن نكره الفقر والقهر والرعب والبؤس والموت نحن نحب الحياة ونحب العدل ونحب الحرية ونحب البهجة ونحب الوئام ونحب السلام ونحب الناس جميعا نحن نحب للناس جميعا ما نحبه لأنفسنا نحن نحبكم ونبتهج بحبنا لكم السلام لنا ولكم جميعا نحن نريد الحياة نحن نريد السلام نحن نحب السلام علينا جميعا، السلام

WE WANT LIFE WE WANT PEACE WE LOVE Peace be upon all of us, peace be upon every body, peace be upon every live, and non live	على كل شخص، السلام على كل حي، أو غير حي نحن نحبكم... كونوا معنا لكي ندافع عن الحياة ونحقق السلام وكرامة الإنسان **نحن نحبكم جميعا** **كونوا مباركين جميعا** **أنا بالحب أبارككم** **كونوا مباركين بالسلام** **شكرا لكم جميعا** **السلام عليكم جميعا...** **هذه تحيتنا** **السلام لكم دائما**
Blessed be you all **I bless you with love** **Be blessed with peace** **THANK YOU ALL** السلام عليكم **This is our greeting** **ASSALAMO ALAYKOM** **Peace be upon you all** **Peace be to you always**	

STOP WARS أوقفوا الحروب

الأطفال البائسون ضحايا الحروب

MISERY CHILDREN ARE VICTIMS OF WARS

أوقفوا الحروب

STOP WARS

نحن نحبكم... كونوا معنا لندافع عن الحياة ونصنع السلام وكرامة الإنسان

We love you ... be with us to defend life and achieve peace and human dignity

STOP WARS

أوقفوا الحروب

نداء إلى الضمير الإنساني:

أنقذوا الإنسانية في فلسطين من فقرها وبؤسها ومن الحروب

Appeal to the Human conscience:

Save humanity in Palestine from its poverty, misery

And wars!